السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ :

«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

حديث صحيح

قال سبحانه وتعالى:

«قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»

يوسف 108.

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا - المدير المسؤول: إبراهيم الطالب - رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 - العدد22 - 13 ربيع الثاني 1428 هـ الموافق 01 ماي 2007م - الثمن 5 دراهم

الناطق باسم الحكومة يدعو إلى معركة إيديولوجية ضد الإرهاب من شأنها أن تزيد من مستوى حدة التطرف ببلادنا

الصفحة: 7

الآثار المدمرة لسياسة الانفتاح السياحي بغاء، شذوذ، خمر، قمار، تنصير

الصفحة: 5

البغايا والشواذ والعرافات أشهر رواد المواسم البدعية

الصفحة: 6

الفرقان بين جهاد عباد الرحمن وفساد أولياء الشيطان

الصفحة: 10

ثورة جنسية وعريٌ فاضح ثمرات إعلامنا المغربي المرئي والمكتوب

الصفحة: 25

تحقق الأمن والأمان ضرورة لإقامة العبودية للرحمن

الصفحة: 11

ملف العدد:

العقول المسلمة بين النزيف والتقتيل



الصفحة: 18-22

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

"كلمة العدد"

تدخل الدين في السياسة ممنوع وتدخل السياسة في الدين واجب!!

حضرت كما حضر غيري من المغاربة المؤمنين صلاة الجمعة الأخيرة، وتابعت الخطبة التي كانت موحدة على الصعيد المغربي والتي تمحورت حول أهمية احترام قانون السير وضرورة مراقبة أجهزة السيارة واحترام إشارات المرور.

وأعجبني كثيرا ربط احترام هذا القانون بالمسؤولية الدينية للفرد حتى نحد من ضحايا حرب الطرقات.

وقلت هذه خطبة تسهم في التقليل من المخالفات المتعلقة بالسير على الطرقات أكثر مما سيكون لمدونة السير التي تقدمت بها وزارة النقل والتي اعتمدت على العقوبات الحبسية والغرامات المالية فقط .

إلا أنني كنت وأنا أستمع إلى فقرات الخطبة، أنتظر متى يُعرِّج الخطيب على ذكر أثر الخمر والمخدرات في ارتفاع معدل حوادث السير وما ينتج عنه من إزهاق للأرواح البريئة نظرا للارتباط المباشر لتعاطي الخمر والمسكرات بأحكام ديننا الحنيف.

وعندما اختتم الخطيب كلامه بالدعاء أحسست بخيبة أمل كبيرة وقلت في نفسي: قبح الله السياسة!! لقد أثر هاجسها على من دبج الخطبة الموحدة فمنعه من أن يتطرق لأهم الأسباب المباشرة في إزهاق الأرواح سواء على الطرقات، أو في غيرها من الأماكن.

وتذكرت هاجس السياسة عندما أثر على علمائنا بالمجلس الأعلى العلمي عندما ردوا على القرضاوي حين اعتبر ظروف المغاربة مثل ظروف الأقليات المسلمة في بلاد الكفر فأجاز لهم الربا، حيث ردّ عليه العلماء ونبزوه وحقروه، دون أن يستطيعوا مناقشته في موضوع الفتوى أو على الأقل بيان الحكم الشرعي للمواطنين.

إن هذا الهاجس السياسي الذي يمنع العلماء من أن يتطرقوا إلى معلوم من الدين بالضرورة ناتج عن الالتباس الحاصل بين الحدود الوهمية بين الدنيا والدين والتي فرضها الاتجاه العلماني المستحوذ على مراكز القرار، وكذا النفوذ الهائل الذي يتمتع به اللوبي الاقتصادي الأجنبي في بلادنا، مما يحتم احترام مصالحه ولو كان ذلك على حساب ديننا وهويتنا وأخلاقنا.

فما الذي يمنع العالم أو خطيب الجمعة من أن يبين حكم الله في الربا والقمار؟

أليس السبب ما يَدُرَّانِه على أصحابهما من ملايين الدراهم وما تستفيده الدولة من رسوم وضرائب؟

إذاً فالسياسة هنا أقصت الدين من تأطير سلوك الفرد وفق الأوامر الإلهية وأوجبت على وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أن يشدد على المرشدين والقيمين الدينيين والعلماء أن يلزموا الصمت في القضايا التي تمس القطاعات العامة كالسياسة والاقتصاد، وما دام القمار والخمر والربا يعتبر من أهم المصادر الجبائية لخزينة الدولة فيعتبر الكلام فيها من التدخل في المسائل التي تهم القطاعات العامة.

بهذا يكاد يصبح الخطيب أداة بيد الوزارات تحركه متى شاءت، فعندما احتاجته وزارة النقل تحدَّث عن إشارات المرور، وعندما احتاجته وزارة الصحة تحدث عن مادة "اليود" وكلنا يتذكر كيف نودي على مدير الشؤون الإسلامية على القناة الثانية خلال السهرة التي خصصت لجمع التبرعات لمكافحة "السيدا" "sidaction" والتي كانت علمانية بامتياز ليزكي للقائمين بها استعمال العوازل الطبية فلم يستطع بيان المقاربة الإسلامية لمكافحة السيدا وإبراز مفهوم العفة الإسلامي وكيفية تصريف الشهوة من منظور إسلامي.

وعندما ستحتاج وزارة التعليم بدورها إلى الخطيب أو العالم فسيتحدث عن طلب العلم في المدارس، في حين لا تستطيع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن توحد خطبة تحث المواطنين على الاهتمام بطلب العلم الشرعي ولو حفظ القرآن فقط.

من هنا يتبين للأسف وبدون أدنى شك أن وزارة الشؤون الإسلامية أصبحت في خدمة باقي الوزارات، بينما لا يستطيع علماؤها أن يمارسوا أدنى رقابة على الحكومة، أليست هذه هي العلمانية في أقبح ممارساتها الديكتاتورية ضد الدين وعلمائه.

أليس من العار والظلم والهوان أن يفسح المجال للمغنيين والمغنيات، والراقصين والراقصات، والرياضيين والرياضيات، والصحفيين والصحفيات، وكل المواطنين والمواطنات، أن يمارسوا أنواعا من الرقابة على السياسيين وأن ينتقدوا عمل الحكومة والبرلمان في حين يبقى الصنف الوحيد الذي يُحرَّم عليه فعل ذلك هم العلماء؟

فكيف إذا والحالة هذه سيتمكن العالم والمرشد الديني والخطيب من تأطير الحقل الديني؟

أليس هذا من الأسباب التي جعلت الناس يبحثون عن أحكام دينهم عبر الفضائيات الشيء الذي يغيض وزير الشؤون الإسلامية.

ألا نخشى عندما نسمح للسياسة أن تتدخل في الدين وتؤطره، ونمنع الدين من أن يتدخل في السياسة ويؤطرها، أن ينطبق علينا وقتها قول ربنا عز وجل: **"وَجعلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ"** الأنعام؟

فهلا أوبة قبل الفوات.

السبيل

قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل - قبل عبور السبيل

من ترك ما ينفعه مع الإمكان ابتلى بالاشتغال بما يضره، وحُرِم التوفيق

من ترك ما ينفعه مع الإمكان ابتلي بالاشتغال بما يضره، وحُرِم الأمرَ الأول، وذلك أنه ورد في عدة آيات: أن المشركين لما زهدوا في عبادة الرحمن ابتلوا بعبادة الأوثان، ولما استكبروا عن الانقياد للرسل، بزعمهم: أنهم بشر، ابتلوا بالانقياد لكل مارج العقل والدين، ولما عرض عليهم الإيمان أول مرة فعرفوه، ثم تركوه، قلب الله قلوبهم، وطبع عليها وختم، فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

ولما بين لهم الصراط المستقيم، وزاغوا عنه اختياراً ورضا بطريق الغي على طريق الهدى والرشد، عوقبوا بأن أزاغ الله قلوبهم، وجعلهم حائرين في طريقهم.

ولما أهانوا آيات الله ورسله أهانهم الله بالعذاب المهين.

ولما استكبروا عن الانقياد للحق أذلهم في الدنيا والآخرة.

ولما منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وآخربوها ما كان لهم بعد ذلك أن يدخلوها إلا خائفين.

"وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" (التوبة).

قال السعدي رحمه الله في التفسير: "أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى اللّه عهده وميثاقه "**لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ**" من الدنيا فبسطها لنا ووسعها "**لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ**" فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة.

"**فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**" لم يفُوا بما قالوا، بَل "**بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا**" عن الطاعة والانقياد "وَهُمْ مُعْرِضُونَ" أي: غير ملتفتين إلى الخير.

فلما لم يفوا بما عاهدوا اللّه عليه، عاقبهم "**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ**" مستمرا "**إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**".

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه اللّه بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت في الصحيحين: "**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف**".

فهذا المنافق الذي وعد اللّه وعاهده، لئن أعطاه اللّه من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف.اهـ

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، يخبر الله فيها أن العبد كان قبل ذلك بصدد أن يهتدي الطريق المستقيم ثم تركها بعد أن عرفها، ونكص عنها بعد أن سلكها عوقب بإبعاده في طريق الضلالة الذي ارتضاه لنفسه وترك به طريق الهدى.

فالاهتداء غير ممكن في حقه ما دام متحيراً في طريق غوايته ممعناً في سبيل ضلالته.

جزاء على فعله، كقوله في اليهود في سورة البقرة: "**نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**" (البقرة)، فإنهم لما تركوا اتباع كتب الله المنزلة من عنده لهداية العباد، وإصلاح شؤونهم وإسعادهم، ابتلوا باتباع أرذلـّها وأخسئها وأضرّها للعقول، وأفتكها في إفساد المجتمع، ولما ترك المحاربون لله ورسوله إنفاق أموالهم في طاعة الرحمن، ابتلاهم بإنفاقها في طاعة الشيطان.

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

69% من المغاربة يؤيدون الهجمات على أمريكيين في العراق
استطلاع أمريكي يكشف عن تخوفات العرب من نوايا أمريكا في المنطقة

اظهر استطلاع للرأي أن **69%** من المغاربة يؤيدون الهجمات ضد الجنود الأمريكيين في العراق، و**28%** منهم لا يعرفون من نفذ هجمات **11** شتنبر، و**64%** يرون أن قيام دولة فلسطين ليس هدفا للأمريكيين.

وحسب نفس الاستطلاع الذي أجراه معهد "ورلد بابلك أوبنيون دوت أورغ" بالتعاون مع جامعة "ميريلاند" والذي أجري في مصر والمغرب وباكستان وأندونيسيا أن أغلبية المسلمين ترغب في أن تغادر القوات العسكرية الأمريكية الشرق الاوسط.

وأعربت أغلبية كبيرة نحو **74%** من الأشخاص عن رغبتهم في أن تتخلى الولايات المتحدة عن قواعدها وأن يغادر جميع الجنود الأمريكيين الدول الاسلامية.

ومن جهة أخرى، أيدت أغلبية ساحقة **91%** من المصريين وأغلبية المغاربة **69%** الهجمات على الجنود الأمريكيين في العراق في حين رفضها **61%** من الأندونيسيين، وأيد **31%** من الباكستانيين الهجمات على القوات الأمريكية في العراق ورفضها **33%**، ولا يعرف **11%** من الباكستانيين ما إذا كانوا يؤيدون هذه الهجمات أم لا.

وهذه الآراء هي تقريبا مماثلة بالنسبة للهجمات على الجنود الأمريكيين في أفغانستان والخليج.

وبالمقابل، فإن الهجمات على المدنيين الأمريكيين أو الغربيين لاقت معارضة كبيرة في الدول الأربع حيث جري الاستطلاع.

كما أعربت أغلبية الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع في هذه الدول عن تأييدهم لعدد كبير من أهداف تنظيم القاعدة مثل تطبيق الشريعة أو إقامة دولة خلافة في الدول الاسلامية.

بالمقابل، لم يحظ أسامة بن لادن على تأييد في هذه الدول الأربع. وجاءت أعلى نسبة تأييد في مصر حيث أعرب **40%** عن آراء إيجابية أو ايجابية جدا حيال زعيم القاعدة، لكن فقط **17%** من الأندونيسيين أعربوا عن الشعور نفسه.

وفي ما يتعلق بهجمات **11** شتنبر، إعتبر **3%** فقط من الباكستانيين أن القاعدة مسؤولة عن الهجمات في حين اتهم **20%** الحكومة الأمريكية بالوقوف وراءها.



وبالواقع، قال **71%** من الباكستانيين أنهم لا يعلمون من هو المسؤول عنها وكما هو حال **29%** من المصريين و**43%** من الأندونيسيين و**28%** من المغاربة.

وأظهر الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع شكوكا كبيرة حول رغبة الولايات المتحدة في إقامة دولة فلسطينية، فقط **7%** من المصريين و**23%** من المغاربة و**27%** من الباكستانيين و**38%** من الأندونيسيين اعتبروا أن إقامة الدولة الفلسطينية أحد أهداف الولايات المتحدة.

وبالمقابل إعتبر **91%** من المصريين و**64%** من المغاربة و**40%** من الأندونيسيين و**28%** من الباكستانيين أن قيام دولة فلسطينية ليس هدفا للأمريكيين.

وأظهر الاستطلاع أن أكثر من **70%** من المصريين والباكستانيين والأندونيسيين والمغاربة يعتقدون أن الولايات المتحدة تسعى لإضعاف وتقسيم العالم الاسلامي.

ويظهر الاستطلاع أن أكثر من **40 %** يعتقدون أن ذلك هو الهدف الأساسي للحرب التي تقودها الولايات المتحدة على الارهاب، في حين أن **12 %** فقط يعتقدون أن هدف واشنطن هو حماية الولايات المتحدة من الهجمات.

المغرب يعرض للبيع 4% من أسهم شركة "اتصالات المغرب"

قررت وزارة المالية والخوصصة بيع 4% من أسهمها في شركة "اتصالات المغرب" إلى الجمهور وذلك في ثالث عملية خوصصة تطال الشركة الوطنية للاتصالات، مما سيخفض مساهمة الحكومة في الشركة إلى 30.

وتجدر الإشارة إلى أن هاته الأخيرة حققت أرباحاً قياسية العام الماضي تجاوزت 800 مليون دولار (67 بليون درهم) مما جعلها الأولى محلياً.

وتوقـعت بعض المصادر أن يكون الطلب كثيفاً على اسهم "اتصالات المغرب" التي حققت العام الماضي أربــاحاً في بورصة الدار البيضاء تجاوزت 70% من إجمالي أرباح البورصة. كما ستستخدم الحكومة العائــدات في معالجة عجز الموازنة القدر بأكثر من 3%، تجنباً لمزيد من الاعتماد على التمويلات المصرفية المحلي.

وتحتاج الخزينة إلى أكـثر من 16 بليون درهم، وهو الحد الأدنى لمنع العجز، فــوق حاجز 3% من الناتج المحلي الإجمالي.

وتشير مصادر الوزارة إلى أن بيع 4% من الأسهم، لن يؤثر في تركيبة رأس مال جمعية المساهمين، حيث ستـظل مجموعة "فيفاندي" الفرنسية مالكة للحصة الأكبر بنسبة 51%، وتمـلك الحكـومة المغربية نسبة 30، و15 مــتداولــة في بورصتي باريس والدار البيضاء، وتحتفظ الدولة بحق تعيين رئيس مجلس الرقابة.

63.8% يؤيدون الحكم الذاتي في الصحراء
حسب استطلاع للرأي أجرته قناة "الجزيرة"

أفاد استطلاع للرأي أجرته قناة "الجزيرة" بأن **63.8%** ممن شملهم الاستطلاع يؤيدون الحكم الذاتي في الصحراء المطروح من طرف المغرب فيما صوت 36.2. لصالح الاستفتاء، وأنجزت قناة "الجزيرة" هذا الاستطلاع في إطار برنامج "الاتجاه المعاكس" الذي خصصته القناة لتفاعلات قضية الصحراء على خلفية المبادرة المغربية بشأن التفاوض لتخويل جهة الصحراء حكما ذاتيا.

وقد بلغ عدد المصوتين في هذا الاستطلاع الذي أنجزته قناة "الجزيرة" بموقعها على الانترنيت 48 ألف و701 (48.701 مصوت).

إدماج 70% من المتسولين في إطار محاربة التسول بالبيضاء



قال وزير التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن عبد الرحيم الهروشي إن استراتيجية محاربة التسول بمدينة الدار البيضاء مكنت إلى حدود نهاية شهر مارس من إدماج 70% من المتسولين.

وأوضح الهروشي في معرض رده على سؤال شفهي أمام مجلس المستشارين حول ظاهرة التسول أن الإدماج الأسري، الذي يتم من خلاله إعادة الشخص المعني إلى أسرته، همّ 50% من المتسولين، في حين شمل الإدماج المؤسساتي، والذي يهدف إلى وضع الشخص الذي لا عائل له وغير القادر على الاشتغال داخل مؤسسة للرعاية الاجتماعية 4% من المتسولين، كما يوجد 16% من المتعاطين للتسول في طور الإدماج الاقتصادي والذي يمكن ذوي القدرة على الاشتغال من دعم مالي لتمويل بعض المشاريع المدرة للدخل.

كما كشفت حصيلة تنفيذ هذه الاستراتيجية، يضيف الهروشي، على أن أزيد من 60% من المتسولين يحترفون التسول، 35% منهم يأتون من خارج مدينة الدار البيضاء كما أن 34% من النساء يتسولن مرفوقات بأطفال.

وذكر وزير التنمية الاجتماعية والأسرة والتضامن باستراتيجية محاربة التسول التي ترتكز على مقاربة اجتماعية تأخذ بعين الاعتبار إدماج الفئات التي تتعاطى التسول ومقاربة قانونية من خلال تطبيق المقتضيات القانونية المرتبطة بتجريم ممارسة التسول خصوصا الاحترافي، كما تعتمد هذه الاستراتيجية على مقاربة تواصلية تهدف إلى تحسيس عموم المواطنين وحثهم على الانتباه لخطورة هذه الظاهرة.

شركة تشيكية تبحث عن النفط في المغرب



طلبت مجموعة أحواض النفط المورافية من السلطات المغربية رخصة للبحث والتنقيب عن النفط والغاز في المغرب، وذكر "كاريل كومارك" صاحب المجموعة المالية التشيكية الكبيرة KKCG التي تتبع لها مجموعة أحواض النفط، أن البحث عن النفط والغاز في المغرب سيتم عبر الشركة البريطانية MND التي تتبع مجموعة المالية والتي تريد توظيف ملايين الدورات في السنوات القليلة القادمة في هذا المجال.

وأكد "ميروسلاف بيسترجابيك" رئيس مجلس إدارة شركة KKCG للغاز والنفط أن المغرب يمتلك احتياطا كبيرا من النفط والغاز، وأن اهتمام المستثمرين الأجانب بالبحث عن النفط والغاز فيه قد ارتفع بشكل كبير في السنوات القليلة الماضية.

وذكرت وكالة الأنباء التشيكية بأن الشركة قامت باستثمار 100 مليون دولار في عمليات توسعها الدولية، وأنها تريد في الخمسة أعوام القادمة رفع الإنتاج الحالي من النفط والغاز في المغرب حتى عشرة أضعاف.

أغلبية الأمريكيين: النصر في العراق لم يعد ممكنًا

أظهر استطلاع للرأي أن أغلبية الأمريكيين يعتبرون أن النصر في العراق لم يعد ممكنًا، وأبدت اتفاقها مع "الديمقراطيين" الذين يطالبون بتحديد جدول زمني لانسحاب القوات الأمريكية.

ووجد الاستطلاع الذي نشرته محطة "إن بي سي" وصحيفة "وول ستريت جورنال" أن 56% من الأمريكيين أكدوا على تأييدهم للموقف الديمقراطي، في حين أيّد 37% موقف الرئيس "جورج بوش" المعارض لجدولة الانسحاب من العراق.

وجاء في الاستطلاع أيضًا أن 55% من الأمريكيين يعتبرون أن "النصر في العراق لم يعد ممكنًا" في حين يعتقد 36% عكس ذلك.

بينما أعرب 22% فقط من الأمريكيين أن الولايات المتحدة تسير على الطريق الصحيح.

يأتي ذلك في وقت أقر مجلس النواب الأمريكي مشروع قانون يربط بين تمويل الحرب في العراق وتحديد جدول زمني للانسحاب من هذا البلد المحتل، رغم تهديد الرئيس الأمريكي "جورج بوش" باستخدام الـ"فيتو".

"مشرف" يؤكد: "كرزاي" يخسر معركته أمام طالبان

اتهم الرئيس الباكستاني "برفيز مشرف" الحكومة الأفغانية بـ"التخاذل عن مكافحة الإرهاب"، وأكَّد أن الرئيس الأفغاني "حامد كرزاي" يخسر الحرب ضد طالبان.

وفي مقابلة مع صحيفة "البايس" أثناء زيارته لإسبانيا، قال الرئيس الباكستاني مشرف: "المفارقة أن أولئك الذين لا يقومون بما فيه الكفاية لمحاربة الإرهاب، من أمثال الرئيس الأفغاني حامد كرزاي، يكونون هم الذين يتهموننا نحن بالتقاعس عن هذا الدور رغم كل ما نقوم به".

وأنكر مشرف الاتهامات الموجهة من قِبل "كرزاي" بأن زعيم شبكة القاعدة أسامة بن لادن وزعيم حركة طالبان الملا محمد عمر موجودان في باكستان، وأعرب عن اقتناعه بأن الرجلين مختفيان داخل أفغانستان".

وقال الرئيس الباكستاني: "أولئك الذين يقولون إن المخابرات العسكرية الباكستانية تقدم الدعم لطالبان من أجل إضعاف أفغانستان، هؤلاء كذابون بالفعل؛ لأنهم إنما يطلقون هذه الافتراءات للتغطية على خسارتهم للحرب أمام طالبان".

وكانت الرئاسة التركية قد أعلنت أنّ الرئيسَين الباكستاني والأفغاني سيزوران العاصمة التركية أنقرة في التاسع والعشرين من أبريل لإجراء محادثات تحت رعاية تركيا لتخفيف التوترات بين باكستان وأفغانستان، وهما الدولتان الحليفتان لأمريكا في محاربة "الإرهاب".

وقال بيان صادر عن مكتب الرئيس التركي: "القمّة ستكون برعاية الرئيس التركي "أحمد نجدت سيزر" وحضور الرئيسين الأفغاني والباكستاني، وستناقش سُبل تحسين العلاقات بين كابول وإسلام آباد، مع مراجعة تداعيات مستوى العلاقات الحالي بينهما على المنطقة ككل".

تظاهرة في إسبانيا لتأييد الكيان الصهيوني

أعلن عدد من أعضاء الحزب الاشتراكي الإسباني الذي تتألف منه الحكومة عن اعتزامه تنظيم تظاهرة؛ تضامنًا مع فكرة وجود دولة صهيونية.

وقد وقّع أكثر من 250 عضوًا من أعضاء الحزب على تلك المذكرة التي تؤيد فكرة وجود الدولة الصهيونية، قائلين: "إن الاشتراكيين يرفضون الموقف المتخاذل لأسلافهم تجاه القضية الصهيونية، لذا؛ فإنهم سيقفون تحت علم ولواء الذين يدافعون عن حق الصهاينة في وجود دولتهم من الآن"، حسب ما ذكره صحيفة "ديركتو".

وذكرت منظمة التضامن الإسباني "الإسرائيلي" أنّ الهدُف من تلك التظاهرة هو التخفيف من حدّة الانتقادات المستمرة التي تُوجَّه للكيان الصهيوني، سواء كانت سياسية أو صحافية، أومن خلال الكتَّاب والمثقفين.

ومن جانبه، قال العضو الاشتراكي "خوان أنطونيو رويث": "ليس من المقبول أن نقفَ صامتين أمام التهديدات التي تقوم بها دولة تنكر "الهولوكوست" وتهدّد الأمن "الإسرائيلي" دائمًا! على حد قوله.

تقرير بريطاني: فقراء العالم يدفعون فاتورة التلوث البيئي

ذكر تقرير حكومي بريطاني أن التغير المناخي الناجم عن انبعاثات الكربون من البلدان المتقدمة اقتصاديا، سيترك أشد آثاره على أفقر الفقراء في العالم في آسيا وأفريقيا.

وبحسب التقرير فإن تلك الانبعاثات تزيد الكوارث الطبيعية سوءا، مشيرا -على سبيل المثال- إلى أن ارتفاع مستويات البحر نتيجة ارتفاع حرارة الأرض يمكن أن يقضي على أكثر من نصف جهود التنمية في بنجلاديش.

وتابع التقرير أن الاحتباس الحراري يهدد بخفض الناتج الزراعي الهندي بما يصل إلى الربع.

ومن ناحية أخرى قالت دراسة نشرتها مطبوعة "ساينس" العلمية الأمريكية إن الأرض ربما تتجه إلى ارتفاع كارثي لمستويات البحار خلال القرون القليلة المقبلة.

ووجد التحليل عبر نماذج الكمبيوتر أن ارتفاع حرارة الأرض قد يؤدي إلى ذوبان الغطاء الثلجي لـ"جرينلاند" فضلا عن انهيار نحو نصف الغطاء الثلجي لغربي القارة القطبية الجنوبية المتجمدة في غضون 500 عام.

أرباح "غوغل" ترتفع إلى مليار دولار بالربع الأول

إيرادات "غوغل" 3.66 مليارات دولار

ارتفعت أرباح شركة محرك البحث العالمي على الإنترنت غوغل 69% في الربع الأول من العام الحالي، متجاوزة توقعات المحللين بدعم من زيادة حصتها في سوق أعمالها.

وأعلنت الشركة الأميركية زيادة صافي أرباحها الفصلية إلى مليار دولار أو 3،18 دولارات للسهم من 592 مليون دولار أو 1،95 دولار للسهم في الفترة نفسها من العام 2006.

وعند استبعاد خيارات الأسهم تكون أرباح "غوغل" الفصلية 3.68 دولارات للسهم مقابل 2.29 دولار العام السابق. وارتفع إجمالي إيرادات الشركة بنسبة 63% إلى 3،66 مليارات دولار.

وتوقعت "وول ستريت" تحقيق "غوغل" في المتوسط ربحا صافيا يبلغ 2،91 دولار للسهم يزيد على 3،31 دولارات للسهم إذا استبعدت خيارات الأسهم والبنود الاستثنائية بينما كان متوسط توقعات الإيرادات 3،57 مليارات دولار.

وارتفعت أسهم الشركة بعد نشر بياناتها عقب تراجعها وأغلقت على 471،65 دولارا في بورصة "ناسداك" وقفز السهم 2،8% في معاملات ما قبل الإغلاق.

يشار إلى نشر "غوغل" نتائج أعمالها الجيدة بعد يوم واحد من إعلان منافستها الرئيسية "ياهو" انخفاض أرباحها بنسبة 11%.

فلسطين تسجل أدنى نسبة طلاق في العالم الإسلامي لعام 2006

أظهرت البيانات الرسمية أنّ فلسطين سجّلت أدنى نسبة في الطلاق خلال العام 2006 في العالمَيْن العربي والإسلامي بنسبة 13.34، بمعدل 3796 حالة طلاق.

وقال الشيخ "تيسير التميمي" قاضي قضاة فلسطين ورئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي، في التقرير السنوي لأعمال المحاكم الشرعية والدوائر التابعة لها، الذي صدر في شهر مارس 2007 "إن عقود الزواج التي تمت في المحاكم 28452 عقدًا، منها 1374 عقد زواج مكرر، فيما سجلت 3796 حالة طلاق".

وأوضح الشيخ "التميمي" أنه تم استحداث بعض الدوائر في ديوان قاضي القضاة، ومن بينها دائرة الارشاد والإصلاح الأُسَري، المعنية بالإصلاح وحل النزاعات الأسرية على تعدد أنواعها قبل وصولها إلى القضاء، وبالأخص النزاع بين الزوجين.

وكشفت دراسة مصرية أجريت مؤخرًا عن ارتفاع نسب الطلاق في العالم العربي، حيث ارتفعت حالات الطلاق في السعودية في الأعوام الاخيرة، وتم تسجيل ما يقرب من 13 ألف حالة العام الماضي.

وفي مصر سجَّلت المحاكم 70 ألف حالة طلاق عام 2006، أما الأردن فقد أكد التقرير الإحصائي السنوي لدائرة قاضي القضاة، أنّ عدد حالات الطلاق للعام نفسه بلغ نحو 9136.

وألقت الدراسة باللوم على الفضائيات العربية والكليات المثيرة في ارتفاع نِسَب الطلاق في العالم العربي.

السبيل
جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب
هيئة التحرير:
حماد القباج - رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال - علي نجم
أحمد السالمي - إبراهيم الوزاني
المسؤول المالي:
إبراهيم بيدون
قسم التوزيع:
ياسين حيسونة

العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة - سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr

السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الآثار المدمرة لسياسة الانفتاح السياحي
بغاء، شذوذ، خمر، قمار، تنصير

إبراهيم بيدون

فما على وزارة الصحة وجمعيات مكافحة السيدا إلا التعجيل بتخزين ما يمكنهم من العوازل الطبية التي ستكفي 10 ملايين سائح ووصفات الأدوية لعلاج نفس العدد من المصابين بالسيدا، وما على الحكومة إلا الإسراع في بناء المركبات السجنية والمحاكم، مما سيجعل مداخيل السياحة في كل عام تدرج ضمن ميزانية وزارتي العدل والصحة.

فرض الواقع الاقتصادي المتدهور والأزمات الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المغرب نهج سياسة جديدة تفتح مجالات عديدة أمام الاستثمارات الداخلية والخارجية، وإقامة المشاريع التي تحقق مكاسب هامة على المستوى الاقتصادي، وكذا توفير عدد كبير من مناصب الشغل للحد من استفحال معضلة البطالة، في هذا الإطار يدخل مشروع المغرب لتطوير القطاع السياحي، هذا التطوير الذي صاحبه انفتاح كبير ربما خسر المغرب من آثاره العكسية أكثر مما يأمل أن يدر عليه من مكاسب، هذا مع العلم أن الدول الأوربية التي تعتمد في اقتصادها على القطاع السياحي لم تستطع الحد من آثاره السلبية والخطيرة والمتمثلة بالخصوص في انتشار الشذوذ الجنسي وترويج المخدرات والدعارة السياحية.

فهل قام المسؤولون في المغرب بإجراء دراسات لمعرفة حجم وخطورة الآثار السلبية المحققة التي ستخلفها المشاريع السياحية الكبرى والتي دخلت حيز التنفيذ؟ أم أننا مرة أخرى سنكون أمام مفهوم علماني ميكيافيلي لسياسة انفتاح اقتصادي-سياحي، يحرص على المردود المادي على حساب العقيدة والقيم والأخلاق!؟

الخطوات والتدابير المتخذة لتطوير القطاع السياحي:

يعمل المغرب منذ أمد على تحسين البنية التحتية الخاصة بالسياحة عبر اتخاذ كل الخطوات والتدابير التي من شأنها أن تحقق الأهداف المتوخاة منها، فقد تم تحديد أهداف واضحة، خلال توقيع الاتفاقية الإطار بين الفيدرالية الوطنية للسياحة والحكومة بتاريخ 29 أكتوبر 2001، ويتعلق الأمر بوضع بنيات مؤسساتية ومالية وبشرية، بهدف توجيه ومراقبة أوراش المشروع الطموح المتمثل في "رؤية 2010"، الرؤية التي تتوقع:

- استقبال 10 ملايين سائح.
- إيجاد 160 ألف سرير إضافي.
- إحداث 600 ألف منصب شغل.
- تحقيق استثمار إجمالي بقيمة 90 مليار درهم.

ومن أهم الخطوات المتخذة في هذا الإطار نهج المخطط الأزرق، ومخطط المدائن، والاهتمام بالسياحة ذات الطابع المحلي، وسياحة الرحلات البحرية، ثم البحث على أسواق مصدرة جديدة، كما تم تكوين جيل جديد من المهنيين في مجال الفندقة...

بالإضافة لسياسة الانفتاح التي تنتهجها الحكومة المغربية في هذا الإطار، والتي تتجلى في فتح المجال على مصراعيه لكل مستثمر سياحي، وإقامة المهرجانات بشتى أنواعها سينمائية وغنائية ومسرحية..، وإعطاء رخص بيع الخمور، وتقديم رخص فتح كازينوهات وانتشار المقاهي والنوادي التي يشرب فيها الخمر وتتفنن فيها الراقصات وبنات الليل في توفير كل أنواع الخدمات المرتبطة بالجنس اللطيف، ...

ولهذا عرف المغرب اجتياحا استثماريا في ميدان السياحة، من خلال ستّ محطات (المخطط الأزرق) سيتم تهيئتها من طرف منمّين دوليين، وهي كالتالي:

محطة "**موغادور**" تم تفويتها للمجموعة الفرنسية البلجيكية الهولندية "توماس وبيرون - واتوليه - كولبير أوركو/ ريسما التابعة لأكور"، و"**الليكسوس**" تم تفويتها إلى المجموعة البلجيكية "توماس وبيرون/ أوركو"، و"**مازاغان**" لمجموعة "كيرزنير الدولية" وصندوق الإيداع والتدبير، والشركة المغربية الإماراتية للتنمية و"مامدا/ إم سي ما"، و"**السعيدية**" لمجموعة "فاديسا"، و"**محطة تغازوت**" للمجموعة الأميركية الكنارية "كولوني كابيتال - ساتوكان لوبيسان"، بالقرب من كلميم، أما بالنسبة لمحطة "الشاطئ الأبيض" فتم تفويتها أيضا للمجموعة الاستثمارية زفاديساس والتي تمثل المحطة الأخيرة المبرمجة في إطار المخطط الأزرق.

الآثار المترتبة عن النشاط السياحي غير المنضبط بالشرع

إن المطلع على أحوال المغاربة يعلم يقينا ما مدى



تأثير الانفتاح على الغرب، إذ أصبحت بلادنا تعيش تقليدا أعمى لكل القيم الغربية العلمانية، ويمكن اعتبار توفير الظروف الملائمة للسائح حتى يشبع رغباته من أهم الأسباب التي تقف وراء ذلك التقليد.

فضخامة المشاريع السياحية المزمع تشييدها عبر التراب الوطني والتي تم توقيع اتفاقياتها مع الشركات والمقاولات الأجنبية تنبئ عن ضخامة حجم آثارها التي ستكون مدمرة لعقائد المغاربة ولتماسك بنية أسرهم وثقافتهم.

فقبل أن تبدأ المشاريع السياحية المذكورة في تقديم خدماتها نجد المغرب والمغاربة يعانون من الشذوذ والدعارة المرتبطة بالسياح والسياحة، فلا يمر يوم إلا ويستيقظ المواطنون على فضيحة أخلاقية تكون ضحيتها فتيات وفتيان مغاربة أرغمهم الفقر وضعف الوازع الديني إلى تقديم خدمات عفنة لسياح مرضى.

أما الخمور فالقانون المغربي للأسف الشديد يبيح بيعها للأجانب غير المسلمين بينما يلاحظ غير المدقق أن أماكن بيعها مثل "مرجان" و"مترو" و"أسيما" لا يرتادها من أجل الخمر إلا المغاربة المسلمون، كما أن 90% من الحانات غالبية "بنائها مغاربة، فإن انضاف إليهم 10 ملايين سائح الذين تعمل وزارة السياحة على استقطابهم في أفق سنة 2010 فإن صناعة الخمور في المغرب ستعرف دون أدنى شك منافسة قوية سيغرق المغرب من جرائها في بحر من الخمر وبحور من الجريمة والرذيلة مما سيدفع المسؤولين إلى بناء المزيد من السجون والإصلاحيات.

وثالثة الأثافي قرين الخمر في الرجس: القمار، فمنذ الإعلان عن المشاريع السياحية تهاطلت على مكتب الوزير الأول طلبات الترخيص لفتح "كازينوهات" جديدة من طرف شركات القمار الأجنبية، لتنضاف إلى "الكازينوهات" الستة التي سبق الترخيص لها والموزعة على الشكل التالي: اثنان في أكادير وثلاثة في مراكش وواحد في طنجة.

ومعلوم ما يحصل في هذه "الكازينوهات" من شرب للخمر ورقص وبغاء، وعلى رأس كل ذلك لعب القمار الذي بدأ يعرف انتشارا واسعا في بلدنا يمارسه الصغير والكبير، الغني والفقير، وذلك لقيام القنوات التلفزية والإذاعات الوطنية بإشهار عروضه والترويج له.

أما قاصمة الظهر فتتجلى في المد التنصيري المصاحب في الغالب لتواجد ملايين السياح الذين سيطالبون بتشييد كنائس، ولا غرابة في الترخيص لهم تحت ضغط حكومات بلادهم ومعونة العلمانيين المغاربة في بنائها لممارسة عقائدهم وطقوسهم، الشيء الذي سيخول لهم تطبيق سياساتهم التنصيرية المستهدفة للشباب المغربي، مما سيعرض إسلام العديد من المغاربة للدمار .

إن الأهداف المتوخاة من وراء المشاريع السياحية الضخمة تتمثل بالخصوص في توفير مناصب الشغل للقضاء على البطالة، وتحقيق استثمارات أجنبية تدرّ مداخيل هائلة من العملة الصعبة حتى نخرج من حالة الإفلاس المستعصية، لن يتم تحقيق هذه الأهداف -هذا إذا افترضنا أنها ستتحقق في ظل استشراء الرشوة وفشو الفساد الإداري، والانفلات الأمني- إلا على حساب قيمنا وأخلاقنا وتماسك أسرنا، فلن نجني أكثر مما جنته الدول الغربية من انحلال وتفسخ على مستوى الأسرة والمجتمع.

ولا غرابة إذا ما اقترحت بعض الأحزاب العلمانية بعد سنة 2010 الترخيص للشواذ جنسيا في الزواج المثلي مادام ذلك سيخدم السياحة، بعد أن يصير الشذوذ ظاهرة علنية كالخمر والقمار، وليس لنا أن نندهش إذا ما طالبت نفس الأحزاب العلمانية بتنظيم البغاء والدعارة مادامت ستكون من مستلزمات نجاح السياحة هذا بالإضافة إلى الرسوم التي ستفرض على البغايا والشواذ، فما على وزارة الصحة وجمعيات مكافحة السيدا إلا التعجيل بتخزين ما يمكنهم من العوازل الطبية التي ستكفي 10 ملايين سائح ووصفات الأدوية لعلاج نفس العدد من المصابين بالسيدا، وما على الحكومة إلا الإسراع في بناء المركبات السجنية والمحاكم، مما سيجعل مداخيل السياحة في كل عام تدرج ضمن ميزانية وزارتي العدل والصحة.

فنخسر بذلك الازدهار والرفاهية في الدنيا التي اشتريناها بجنان الآخرة.

البغايا والشواذ والعرافات أشهر رواد المواسم البدعية
موسم "علي بن حمدوش" نموذجا

نبيل غزال

لا تتم زيارة ضريح "علي بن حمدوش" إلا بالمرور عبر أربعة مراحل، أولاها أخذ الطبق إلى ضريح "أحمد الدغوغي"، الذي يبعد عن قبة "علي بن حمدوش" بحوالي خمس إلى ست كيلومترات، ثم تأتي مرحلة النزول إلى الحفرة، حيث توجد هناك "عيشة الحمدوشية"، لتقديم القرابين وإشعال الشموع، وبعدها يأتي دور زيارة قبة "علي بن حمدوش"، حيث توجد بداخلها "محكمة للجن!"، وتأتي أخيرا مرحلة الاستحمام داخل بيوت تنبع منها عيون تسمى "عيون لالة عيشة مولات المرجة"، حينها ستتردد إلى الأسماع عبارات من قبيل: "الله ينفعك بالزيارة" "شايلاه آسيدي علي بن حمدوش"، "شايلاه آلالة عيشة الحمدوشية"، "عمرة" موسم علي بن حمدوش تكون سبعة أيام بعد المولد النبوي، وبالتحديد بعد انتهاء "عمرة" ضريح الهادي بن عيسى بمكناس، حيث تنتقل الأفواج الزائرة للشيخ الكامل مباشرة بعد ذلك صوب علي بن حمدوش.

رواد موسم "علي بن حمدوش"

كان موسم "علي بن حمدوش" إلى عهد قريب عبارة عن مكان لاحتراف أمور الشعوذة وإحياء ليالي "الحضرة"، ومحاكمة الجن، قبل أن يتحول الآن إلى موسم شعبي للشواذ؛ تراهم كالفطر يخترقون دروب المنطقة الضيقة، فقد حضروا بكثافة خلال هذه السنة لعمرة "علي بن حمدوش" ولم يعد منظرهم يثير الاستغراب ولا التساؤل، فالمكونات البشرية المداومة على حضور الموسم أصبحت ترى فيهم مكونا أساسيا يؤثث فضاء الموسم المليء بالتناقضات. فهم يجدون في هذه المناسبة فرصة للتحرر من الأغلال المجتمعية التي تجثم على أنفاسهم في أماكن إقامتهم ووسط أهاليهم، يتحللون من لباس الرجال الذي ينقمون عليه نقمة الأعداء ويتلحفون بدلا عنه العباءات الخليجية والقفطان المغربي والجبادور والإكسسوارات الحديثة والماكياج البارز والأشبه بمساحيق (ماكياج) عاهرات لا يخجلن في الإفصاح عن هويتهن.

فرواد الموسم بالإضافة إلى العرافات وزبنائهن هم شواذ وعاهرات، إضافة إلى زمر قليلة من الناس العاديين، وأغلبهم من نساء وشيوخ مسنين تتحكم فيهم سلطة المعتقد المنحرف.

وبالموازاة مع ليالي الحضرة التي تقيمها "الشوافات"، ينظم الشواذ ليالي للحضرة خاصة بهم، تراهم يتجمعون بعد أن يكونوا قدموا "العادة"، أي تقديم الذبيحة و"الأطباق" إلى ضريح "علي بن حمدوش" و"لالة عيشة"، هناك تذبح الذبائح على إيقاعات وأهازيج جيلالة وحمادشة وكناوة...

خطورة الشرك

من المقرر عند علماء المسلمين المعتمدين قاطبة أن من نواقض التوحيد الإشراك بالله بدعاء من سواه والاستغاثة به، وزيارة القبور لسؤال أهلها الحاجات والمطالب، وهذا هو الشرك الأكبر الذي حاربه الله وأرسل من أجله الرسل، قال تعالى: "**وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ، وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**".

قال ابن كثير في تفسير قول الله: "**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"، هَذَا مَثَل ضَرَبَهُ اللَّه تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذهمْ آلِهَة مِنْ دُون اللَّه، يَرْجُونَ نَصْرهمْ وَرِزْقهمْ وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِد، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوت فِي ضَعْفه وَوَهَنه فَلَيْسَ فِي أَيْدِي هَؤُلَاءِ مِنْ آلِهَتهمْ إِلَّا كَمَنْ يَتَمَسَّك بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوت، فَإِنَّهُ لَا يُجْدِي عَنْهُ شَيْئًا، فَلَوْ عَلِمُوا هَذَا الْحَال لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُون اللَّه أَوْلِيَاء، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُسْلِم الْمُؤْمِن قَلْبه لِلَّهِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُحْسِن الْعَمَل فِي اتِّبَاع الشَّرْع فَإِنَّهُ مُتَمَسِّك بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَام لَهَا لِقُوَّتِهَا وَثَبَاتهَا".

فلا أحد يجيب الدعاء ويكشف الضر إلا الله، قال تعالى: "**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ**"، قال الإمام القرطبي في تفسير قول الله تعالى: "**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**": "أَمْر بِإِخْلَاص الْعِبَادَة لِلَّهِ، وَمُجَانَبَة الْمُشْرِكِينَ وَالْمُلْحِدِينَ".

فالذين يتوجهون إلى هذه المواسم الموبوءة بالمخالفات الشرعية والمناقضة لما هو معلوم من الدين بالضرورة: سؤال للأموات، أضرحة وقبور، زنى وفجور، لواط وبغاء، تحت مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل ومن السلطات التي من شأنها أن تعمل على الحد بل التصدي لمثل هذه المخالفات، لكفيل بنشر التطرف والإرهاب عند طائفة يغيظم انتهاك حرمات الله، فيتحركون من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للقيام بأعمال تخريبية يحسبونها شرعية .

وهنا أيضا نتساءل عن دور وزارة الأوقاف في القيام بوظيفة الإرشاد لما يروج من منكرات وبدع أجمع علماء المالكية على محاربتها والتصدي لها.

فتاوى علماء المالكية في المواسم البدعية

كثرت فتاوى علماء المذهب في زجر ما يروج في مثل هذه المواسم والأضرحة، ونظرا لضيق طبيعة المقالة نكتفي بإيراد فتوى لعالم وأخرى لسلطان فهما تغنيان عن غيرهما.

قال أبو عبد الله محمد بن اليمني الناصري الجعفري الرباطي رحمه الله في "ضرب نطاق الحصار" ص66-67-68: "..ولا من يتخذ ضرائح الأولياء والصلحاء ملجأ وكعبة وقبلة يتوجهون إليها، كما يتوجهون إلى الله تعالى، ويتطوفون بها، ويتمسحون بجدرانها، ويقبلون درابيزها وكساها كما يقبلون الحجر الأسود، ويركعون أمامها بجوارحهم وجوانحهم، ويسجدون لها بكيفية أرقى من السجود لله، معفرين خدودهم على ترابها، بل لم يكن فيهم من يتلبس بالمنكرات وهو يعتقد أنها عبادة تقربه من الله زلفى، ولا من يبيع دينه بدنيا غيره مؤخرا الصلاة عن وقتها لخدمة شيخ من المشايخ أو حضور حضرته، ولا من يتخذ طبلا ولا مزمارا ولا آلة لهو وطرب في المعابد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه". اهـ

قال السلطان المولى سليمان رحمه الله تعالى:

"..واعلموا أن الله بمحض فضله أوضح لكم طرق السنة لتسلكوها، وصرح بذم اللهو والشهوات لتملكوها، وكلفكم لينظر عملكم، فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه، واعرفوا فضله عليكم وعوه، واتركوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبسون، والبدع التي يزينها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعا، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعا، بما هو صراح كتابا وسنة وإجماعا، وتسموا فقراء، وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقرا، "**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**.." الآية.

وكل ذلك بدعة شنيعة، وفعلة فظيعة، وشيمة وضيعة، وسنة مخالفة لأحكام الشريعة، وتلبيس وضلال، وتدليس شيطاني وخبال، زينه الشيطان لأوليائه فوقتوا له أوقاتا، وأنفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك دراهم وأقواتا، وتصدى له أهل البدع من (عِسَاوَة وجِلالَة) وغيرهم من ذوي البدع والضلالة، والحماقة والجهالة، وصاروا يرتقبون للهوهم الساعات، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات.

وكل ذلك حرام ممنوع، الإنفاق فيه إنفاق في غير مشروع.

فأنشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة عمه سيد الشهداء موسما، وهل فعل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيد الإرسال، صلوات الله عليه وعلى جميع الأصحاب والآل موسما؟ وهل فعل عمر لأبي بكر موسما؟ وهل تصدى لذلك أحد من التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

..وكأني بكم تقولون في نحو المواسم المذكورة، وزخرفة أضرحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع، حسبنا الاقتداء والاتباع، "**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ**.." الآية.

وهذه المقالة قالها الجاحدون، هيهات هيهات لما توعدون، وقد رد الله مقالهم، ووبخهم وما أقالهم.

فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين، وأهل الصلاح والدين،(خير القرون: الحديث)، وبالضرورة إنه لن يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، فقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعقد الدين قد سجل، ووعد الله بإكماله قد عجل، "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**.." الآية.

..فتوبوا واعتبروا وغيروا المناكر واستغفروا، فقد أخذ الله بذنب المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور لما أغضوا عن المنكر عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عقبى الجميع ما بين العاصي والمداهن المطيع.." اهـ .(جزء من نص المرسوم الذي أصدره المولى سليمان لإبطال المواسم، كما ذكره أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى 466 فما بعد)

فكيف إذا حضر هذا السلطان وذاك العالم رحمهما الله تعالى إلى موسم "علي بن حمدوش" أوغيره ورأيا ما يروج فيها من مخالفات وضلالات وانحلالات، فيا ترى ماذا سيكون موقفهما؟!

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الناطق باسم الحكومة يدعو إلى معركة إيديولوجية ضد الإرهاب من شأنها أن تزيد من مستوى حدة التطرف ببلادنا

إبراهيم الطالب

يبدو من خلال تداعيات الأحداث الدامية التي عرفتها الدار البيضاء منذ 16 ماي 2003 أن الأحزاب العلمانية اليسارية قد وجدت متمسكا تحيي من خلاله ما تحلل من إيديولوجياتها المادية، فالأحزاب التي شاخت على الصراع ضد العلماء والقيم الدينية، مافتئت تصرِّح علنا على صفحات جرائدها وفي ندواتها ومختلف أنشطتها الحزبية بضرورة التصدي ومحاربة التطرف والإرهاب، وتدعو بين الفينة والأخرى إلى تبني العلمانية كحل، موهمة المغاربة أن أمر التطرف والإرهاب راجع أولا وقبل كل شيء إلى مسألة إيديولوجية فكرية.

هذا على الأقل ما صرح به الناطق الرسمي باسم الحكومة ووزير الاتصال وعضو الديوان السياسي والمسؤول على قطب التواصل بحزب التقدم والاشتراكية "نبيل بن عبد الله" داعيا إلى القيام بما أسماه: "معركة الصراع الفكري الإيديولوجي".

وحتى نستبين طبيعة الصراع الفكري الإيديولوجي، وهوية الأطراف المتصارعة، نورد تصريح الوزير التقدمي الاشتراكي مناقشين ما تضمنته عباراته من دلالات خطيرة، ربما تكون سببا في وقوع تطورات أخطر على مستوى حدة التطرف ببلادنا، نظرا لحمولتها ذات الطابع الحربي ولصدورها عن ناطق باسم الحكومة.

وقفات مع تصريح "بن عبد الله"

تحدث "بن عبد الله" إلى وسائل الإعلام وكأنه يحاضر أمام اشتراكيي حزبه قائلا: "إذا اقتصرنا على تفسير الإرهاب بالفقر والتهميش، آنذاك نتساءل معكم، كيف يمكن أن نفسر أحداث مدريد؟

وكيف يمكن أن نفسر أحداث لندن؟

هل هذه المدن تحيى درجة من الفقر والتهميش مثل ما نلاحظها في بعض أحياء الدار البيضاء؟

معنى ذلك، أن هذا الأمر راجع أولا وقبل كل شيء إلى مسألة إيديولوجية فكرية، إلى انحراف كبير في التعاطي مع القضية الدينية وإلى فهم مغلوط للمقومات الأساسية لديننا الإسلامي الحنيف، مما يعني أن المعركة الأولى التي يجب أن نخوضها هي معركة الصراع الفكري الإيديولوجي وعلى المستوى الديني كذلك مع هذه الانحرافات التي نلاحظها على هذا المستوى" إنتهى كلامه.

ولنا معه هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: الفقر وظاهرة الإرهاب

في الحقيقة يحار المرء في تحديد نوعية المظلة التي تحدَّث من تحتها الوزير، أهي مظلة حزب التقدم والاشتراكية؟ أم هي مظلة الحكومة بصفته ناطقا باسمها؟ أم مظلة وزارة الإعلام بصفته وزيرا للاتصال؟ وذلك نظرا لأهمية المظلات الثلاث وحساسيتها بالنسبة لموضوع مكافحة الفكر المتطرف، فعلمانية حزب التقدم والاشتراكية وسياسة الانفتاح الإعلامي المتسيب الذي عرفه المغرب خلال إشراف الوزير على وزارة الاتصال وحدهما كفيلانِ بأن يذكيا نار التطرف ويزيدان من صعوبة إقناع مَن غرِّر به من شباب المغرب.

وتزداد تلك الصعوبة عندما تنضاف إلى ذلك محاولة التلبيس الذي تعمده الوزير عند حديثه عن أسباب التطرف مقللا من أهمية سبب الفقر والتهميش الذي تعاني منه الأحياء التي ينحدر منها كل الذين فجروا أنفسهم، وذلك حتى يقلل من شأن مسؤولية الدولة عن تردي الأوضاع في الأحياء المذكورة من جهة، وحتى يتمكن من إبراز التطرف الديني كعامل أساسي وجوهري في عمليات التفجير من جهة ثانية.

وهنا نُسائل الوزير عن تلك العقود الطويلة التي كان فيها حزبه يحارب النظام المغربي ويتخذ من مسألة الفقر والتهميش جوهر نضاله من منطلق "لينيني" مادي قاتم، منددا باستغلال المَلَكيَّة للدين كإيديولوجيا لتكريس القهر والاستعباد؟

فهل تحوَّلَ الوزيرُ بعد الوظائف السامية المتعددة والرواتب الضخمة والغنى الفاحش من مناضل عن البرولتاريا إلى مطالب بتصحيح الفكر المتطرف وفق منظور النظام للدين ومقوماته؟

إننا لا نشك في كون الفقر ليس عاملا أساسيا في ظاهرة الإرهاب إلا أن وجوده بشكل مدقع يساعد في تهيئة نفوس اليائسين لتقبل تفجير أنفسهم نظرا لخلوها من أي تعلق مادي بالملذات والترف، مما يجعلها أكثر قابلية للتضحية بالنفس في سبيل القناعات الخاطئة التي يحسبونها حقا وواجبا.

ونعتبر كذلك أن الفكر العلماني المعادي لأي سلطة للدين على المجتمع لا يَقل خطورة عن الفهم المغلوط للدين وأحكامه لكونهما معا من الأسباب المباشرة لولادة ظاهرة التطرف والإرهاب في المغرب.

هل يرضى الوزير بفتح نقاش علمي مع المتطرفين حول أكبر القضايا المفرزة للتطرف مثل: ضوابط التكفير، والحكم بشريعة الإسلام بدل القوانين الوضعية، وإعانة الكفار على المسلمين، ومفهوم الولاء والبراء وقضايا الربا والقمار والخمور؟

الوقفة الثانية: الفهم المغلوط للمقومات الأساسية لديننا الإسلامي الحنيف

إن فساد السياسيين وإفسادهم وتلبيسهم على المواطنين يمكن اعتباره من أهم الأسباب المنتجة للتطرف الديني، فكيف يمكن ألا يستفز "نبيل بن عبد الله" أكثر الناس اعتدالا وتوسطا وهو يسمعه يتحدث عن الفهم المغلوط للمقومات الأساسية لديننا الإسلامي الحنيف، فعن أي فهم مغلوط يتحدث هذا الراغب في محاربة التطرف؟ وعن أي مقومات الإسلام يتكلم؟

فهل يعلم وزير الاتصال أن نظرة حزبه العلمانية للإسلام وما تنشره جريدته "بيان اليوم" التي كان مسؤولا عنها لسنوات من شبهات حول الدين الإسلامي هي من أقوى أسباب ظاهرة التطرف بالمغرب؟

وهل يرضى الوزير بفتح نقاش علمي مع المتطرفين حول أكبر القضايا المفرزة للتطرف مثل: ضوابط التكفير، والحكم بشريعة الإسلام بدل القوانين الوضعية، وإعانة الكفار على المسلمين، ومفهوم الولاء والبراء وقضايا الربا والقمار والخمور؟

إن عامة العلمانيين يساوون بين النصرانية والإسلام ويطالبون بأن تُقلِّص الحداثة العلمانية من ظل الإسلام حتى يبقى حبيس المسجد، تأسيا بأوربا التي ما أحرزت التقدم والقوة إلا عندما قلصت من النصرانية وسجنت دينها بين جدران الكنيسة.

كما يلبسون عمدا بين مفهوم حماية دماء غير المسلمين في الإسلام وبين المفهوم العلماني للتعايش والمحبة والانفتاح على الآخر، ويجعلون أحكام وتعاليم الإسلام من صلاة وزكاة وصوم مسألة شخصية غير ملزمة، بل يجعلون الكفر بالإسلام واعتناق البوذية مثلا حرية اعتقاد شخصية ومن ثم يطالبون بالسماح للمُنصِّرين بدعوة المغاربة إلى النصرانية ولا يرون مانعا في بناء المزيد من الكنائس والبِيَع.

فهل هذا التكييف العلماني للمقومات الأساسية للدين الإسلامي الحنيف هو الذي سيقنع المتطرفين والغلاة بتصحيح فهمهم للإسلام وأحكامه؟

أم من شأنه أن يجعل كل من مسته نزعة التطرف قنبلة موقوتة وأحزمة ناسفة؟

وهل يطالب الوزير المتطرفين بتصحيح انحرافهم الكبير في التعاطي مع القضية الدينية انطلاقا من مفاهيم حزبه الاشتراكي العلماني؟

الوقفة الثالثة: الدعوة إلى معركة الصراع الفكري الإيديولوجي

نسائل الوزير بداية في هذه الوقفة عن هوية المتحاربَين في معركة الصراع الفكري الإيديولوجي، أهي الحكومة المغربية ضد المتطرفين؟ أم هي الأحزاب العلمانية ضد الفكر المتطرف؟

وهل يطالبنا الوزير بتبني إيديولوجيته الاشتراكية البائدة أم إيديولوجيته الجديدة التي هي مزيج بين "الهمبوركر" الأمريكي وقشور الحداثة الأوربية؟

وهل يرضى الوزير أن نحكم نصوص المذهب المالكي في التعاطي مع معضلة التطرف والإرهاب؟

لقد استغل الوزير منصب الناطق باسم الحكومة استغلالا بشعا حيث دعا إلى معركة الصراع الفكري الإيديولوجي، وبذلك يكون قد ارتكب جناية في حق كل المغاربة تستوجب التعجيل بإقالته.

فكيف يعقل أن يدعو إلى حرب إيديولوجية وهو يعلم بوصفه مارس الخروج على النظام لسنوات عديدة أن المعركة الإيديولوجية تقود حتما إلى المعركة المسلحة، مما يبين بوضوح أن الوزير لم يشتبه عليه الأمر، وإنما يريد أن يجر الحكومة المغربية إلى حرب لن يربح من جرائها سوى المد العلماني ومن يهمّه أن يختلَّ أمن البلاد، فتسقط البَيعة وتلغى إمارة المؤمنين وتشطب من ديباجة الدستور عبارة "دين الدولة الإسلام" حتى تُحكِم العلمانية قبضتها على مقاليد الأمور في المغرب.

إن التطرف الديني يبقى مسألة إسلامية-إسلامية، لا دخل للإيديولوجية العلمانية فيها، فكل تدخل علماني من شأنه أن يزيد من فداحة النتائج وفظاعتها، لذا من الواجب أن تتدخل السلطات -وهي تعلم جيدا كيف تتدخل- لمنع أي عنصر علماني رسمي من أن يتكلم باسم المغاربة عن محاربة التطرف أو الإرهاب، وأن تحث المسؤولين في وزارة الأوقاف على الاستعانة بالعلماء ذوي المصداقية لدى المتطرفين المغاربة سواء داخل المغرب أو خارجه، وفتح حوار علمي بين العلماء والغلاة حول القضايا الحساسة التي تدفع بفلذات أكبادنا إلى تفجير أنفسهم وإخوانهم من أجل مصلحة شرعية متوهمة.

إن السماح بنشر الفكر العلماني المتطرف على صفحات الجرائد، والترويج لمقاربات الإصلاح اللادينية على القنوات الوطنية يعتبر من أهم الأسباب المباشرة لتفشي ظاهرة الإرهاب في الآونة الأخيرة.

فهلا أخضعنا مسألة الإرهاب لسلطان النصوص الشرعية الدينية بدل الإعراض عن مَواطن النزاع وتركها "طابوهات" مخافة أن يوصلنا النقاش والبحث إلى إحراج يكشف لنا حقيقة ثمار العبث العلماني في بلادنا، ونتائج تنكبنا عن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وهدي أسلافنا الصالحين رضوان الله عليهم".

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

بادئ ذي بدء

بعد الأحداث التخريبية التي عرفتها الدار البيضاء في الشهر المنصرم تبيّن للكل أن التغرير بأبنائنا صار من السهولة بمكان، مما أوجب على المخلصين لدينهم وأمتهم ووطنهم أن لا يألوا جهدا في النصح والبيان، لذا وقياما بهذا الواجب ارتأينا أن نطرح موضوعا بات من اللازم طرقه لما لتلك الأحداث التخريبية من صلة به، ألا وهو موضوع التكفير.

فأحكام الكفر والتكفير هي من جملة الأحكام الشرعية العظيمة التي انحرف فيها كثر من الناس عن جادة الوسطية والاعتدال، وتشعبت آراؤهم فيها.

"فمنهم من أفرط، ومنهم من فرّط، ومنهم من اعتدل" حاشية ابن عابدين 229/4؛ والفتاوي 466/12.

فكان لزاما -من باب تصحيح المفاهيم حول هذا الموضوع الجليل- أن نخصه بالبحث والمدارسة والتقرير، حتى لا يُقاد الناس بالعواطف العمياء، ولا يخدعوا بالشعارات الجوفاء، التي طالما استولت على كثير ممن ضعف علمه وألغى عقله واستسلم لعواطفه فضاع وضيع أمته.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى طرح موضوع التكفير وأحكامه كونه أصبح من "المسكوت عنه" من طرف الكثير من علماء بلدنا مما دفع العلمانيين إلى إنكار التكفير إطلاقا بدعوى أنه يمثل السبب المباشر في الأعمال التخريبية وعمليات القتل..

إلا أننا نرى أن التعتيم على هذا الموضوع ونفيه والمنع من مدارسته وتبيين أحكامه لا يخدم قضيتنا في محاربة أعمال العنف والتطرف لعلمنا أن المغرر بهم لن يسمعوا لترهات العلمانيين التي لا تزيدهم إلا نفورا وعنادا.

كما نبغي ببيان ذلك نصح الأمة، ووضع الأمور في نصابها، ليظهر لكل ذي عينين دقة ذلك وصعوبته، وأن الواجب على عموم الناس: إمساك ألسنتهم عن تكفير أعيان الناس، فذلك مزلق خطير يحتاج إلى دقة وتحرير، ولذا أنيط شرعا بخواص أهل العلم والدين، كما سنبين إن شاء الله رب العالمين.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

من ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بالشك والاحتمال والتخمين

الحلقة الثانية

مرّ معنا -في الحلقة الأولى- بيان عظم إخراج المسلم من دائرة الإسلام، وأنه من المزالق العظام، لما يترتب عليه من الأمور الجسام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جُهَيَنَة، قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقال لي: يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله إنه إنما كان متعوذا، قال: قتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم".

قال الحافظ ابن حجر عند هذا الحديث: "**قال: ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد.**

وقال القرطبي: في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك" الفتح 243/12.

وقال أبو بطين رحمه الله: "وبالجملة يجب على من نصح نفسه أن لا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام **لمجرد فهمه واستحسان عقله**". "الكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل" 21.

من ثبت إسلامه بيقين،لم يزل عنه بالشك

من خلال ما سبق قرر العلماء رحمهم الله أن "**من ثبت إسلامه بيقين،لم يزل عنه بالشك**" الفتاوي 501/12.

وقال ابن بطال رحمه الله: "وإذا وقع الشك في ذلك (يعني في كفر الخوارج) لم يقطع عليهم بالخروج من الإسلام، لأن **من ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين**" الفتح 314/12، وانظر كذلك كلام الزركشي رحمه الله كما في تحفة المحتاج 84/2.

قال الناظم:

إلى اليقين ترجع الأحكام ... بالشـك لا يزال يا همـام

ومن ثم سار العلماء في هذا الباب على النظر والتأمل دون عجل، وليس ذلك كذلك، إلا لأن "التكفير لا يكون بأمر محتمل" الصارم المسلول لابن تيمية 96/3.

مع العلم أن معنى لفظة "الشك" في كلام العلماء -هذا- هو كما بينه الجرجاني رحمه الله بقوله: "التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، **عند الشاك**" (التعريفات 113، وانظر البحر المحيط 781, في آخرين).

وهذا المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة يوافق ما هو مقرر عند أهل اللغة (فانظر معجم مقاييس اللغة، والمعجم الوسيط وغيرهما).

أما حقيقة معنى لفظة اليقين -فيما ذكر- فلغوية -كذلك- بحيث اليقين في اللغة: "العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر" كما في لسان العرب، ويقال: "يقن الأمر بيقين.. **إذا ثبت ووضح**" كما في المصباح المنير.

ومنه فإن لفظة اليقين -هنا- تشمل: حقيقة اليقين، والظن الراجح، وعلى هذا الأخير اصطلاح الفقهاء رحمهم الله كما نص عليه النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب 187/1.

قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا كل ذلك في قضية التكفير: "التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار، **فمأخذه كسائر الأحكام الشرعية، فتارة يدرك باليقين، وتارة يدرك بظن غالب، وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى، والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل**" بغية المرتاد 345، وتسمى "الرد على الطوائف الملحدة" كما في الفتاوي الكبرى 323/6.

"التكفير
حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال
وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار، فمأخذه
كسائر الأحكام الشرعية، فتارة يدرك باليقين، وتارة
يدرك بظن غالب، وتارة يتردد فيه، ومهما حصل
تردد فالتوقف عن التكفير أولى، والمبادرة إلى
التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب
عليهم الجهل"

عقد الإسلام،وبم يثبت؟

ننبه -في هذا المقام- على مسألة جليلة ضلت فيها الأفهام وزلت فيها الأقدام وهي: "عقد الإسلام،وبم يثبت؟".

فنقول: إن كلام أهل العلم حول ثبوت إسلام المرء باليقين -في كلامهم السابق - **أمر نسبي** بمعنى: **أن ذلك بالنسبة إلى ظاهر حال الإنسان**، وهذا ما يعرف عند أهل العلم بـ "**الإسلام الحكمي**" الذي به النجاة في **الدنيا**، وأما في **الآخرة** فلا نجاة إلا بـ "**الإسلام الحقيقي**" انظر معارج القبول 208/2، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة 22.

والمهم في كلامنا الحديث عن **ثبوت وصف الإسلام الذي نجري عليه أحكام الدنيا** والذي اصطُلح عليه -كما قلنا آنفا- بـ "الإسلام الحكمي"(1)، فإن العبرة بثبوت ذلك: "**الظاهر**"(2) لا "الباطن".

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "**الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة**" الفتاوي 133/7.

وقال كذلك رحمه الله مفسرا قوله تعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا": "والأعراب إنما أتوا **بإسلام ظاهر نطقوا فيه بالشهادتين**، سواء كانوا صادقين أم كاذبين **فأثبت الله لهم الإسلام دون الإيمان**" الفتاوي 158/7؛ وانظر العقيدة الطحاوية مع شرحها 427.

ولأجله "اتفق العلماء على أن إسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم **أسلموا ظاهرا**" الفتاوي 351/7.

ومن الأدلة على هذا الذي قرر -وهي كثيرة جدا- حديث

←

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

أسامة رضي الله عنه السالف الذكر، وتؤكده رواية له عند مسلم قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة رضي الله عنه: "**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**".

قال القرطبي رحمه الله: "وفيه (أي: الحديث) دليل على ترتب الأحكام على **أسبابه الظاهرة دون الباطنة**" الفتح 243/12.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "**ومن المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصِم دمه بذلك، ويجعله مسلما فقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال: لا إله إلا الله**" جامع العلوم والحكم83.

إذن **فالحكم بالإسلام يثبت بمجرد النطق بالشهادتين، وهو أمر مجمع عليه** كما حكاه غير واحد، انظر "العذر بالجهل" لأحمد فريد 30.

وهذا معنى قول الإمام الزهري رحمه الله: "**الإسلام الكلمة**، والإيمان العمل" الإيمان لابن تيمية 280.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ".. فلا يكون مسلما إلا من شهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وهذه الكلمة يدخل بها الإنسان الإسلام، فمن قال: الإسلام الكلمة وأراد هذا فقد صدق" الإيمان 256.

ومن الآثار الجميلة في ذلك ما رواه ابن أبي شيبة رحمه الله في كتابه الإيمان عن سوار بن شبيب قال: "جاء رجل إلى ابن عمر، فقال: إن -ها هنا- قوما يشهدون علي بالكفر! قال: فقال: "**ألا تقول: لا إله إلا الله، فتكذبهم**" وسنده صحيح كما حكم بذلك الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن أبي شيبة رحمه الله ص: 22.

قال البغوي رحمه الله: "الكافر إذا كان وثنيا أو ثنويا لا يقر بالوحدانية، فإذا قال: لا إله إلا الله **حكم بإسلامه**.." نيل الأوطار 128.

هل النطق بالشهادتين هو الصورة الوحيدة للحكم بإسلام المرء؟

ليس النطق بالشهادتين هو الصورة الوحيدة للحكم بإسلام المرء -على الصحيح من قولي الفقهاء- وإنما ذكر ذلك فقط لأنه هو **الحالة الغالبة** لكل من يريد الدخول في الإسلام، وإلا فقد ثبت أن **للوصف** بذلك صور أخرى **تقوم مقام النطق بالشهادتين** قبلها النبي صلى الله عليه وسلم كما في الأحاديث الصحيحة (انظر ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة).

قال ابن أبي العز: "..وهنا مسألة تكلم فيها الفقهاء: فمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام ولم يتكلم بهما هل يصير مسلما أم لا؟

والصحيح: أنه يصير مسلما بكل ما هو من خصائص الإسلام" شرح للطحاوية 75.

وعليه فيكفي في حكمنا بإسلام المرء قوله مثلا: أنا مسلم أو بصلاته ونحو ذلك كما هو معروف عند الفقهاء، (انظر إعلان النكير على غلاة التكفير62 فما بعدها).

فالحذر الحذر ممن خاض في هذا الخضم **بلا فقه ولا علم**، فزخرف القول وزين الكلم!

فها هم الخوارج يصفهم ابن زياد رحمه الله بقوله: "**لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع**" الكامل للمبرد 146/2.

---

[1]- والقصد منه أن **نجري** على المرء **أحكام أهل الإسلام** ما لم يأتي بناقض **محقق** وتقوم عليه الحجة **ويحكم عليه أهل العلم**، فتذكر.

[2]- أما تحقق ذلك حقيقة (ظاهرا وباطنا) وبقاؤه واستمراره فأمر آخر، فتنبه.

الانفجارات الأخيرة .. نظرة مقاصدية

إلياس العثماني

لا يتمارى اثنان ولا يتناطح عنزان في أن ما وقع في الآونة الأخيرة في المغرب العربي عموما وفي الدار البيضاء على وجع الخصوص، من الانفجارات والأعمال التخريبية هي بعيدة كل البعد عن سماحة الإسلام، بل هي أعمال يأباها العقل السليم ويشهد ببطلانها وفسادها الحس والواقع، ولا يخفى كذلك ما لها من مفاسد تعم جميع المستويات، نسأل الله أن يصلح أحوالنا وأحوال جميع المسلمين، وسأحاول -إن شاء الله- ربط هذه الأعمال بمقاصد الشريعة لنرى مدى فسادها وضررها على المجتمع، فأقول:

من المقرر عند جميع العلماء ومن المستقيم في عقول كل الفقهاء الفهماء أن الشريعة الإسلامية جاءت لجلب المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، كما جاءت كذلك لحفظ أمور خمسة معلومة ألا وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وهذه الأمور تسمى عند علماء المقاصد بالضروريات الخمس، أو أمهات المصالح، فمراعاتها وحفظها قد اتفقت عليه الشرائع كلها وليست شريعتنا فحسب، حتى قال أحد العلماء: "**حصر المقاصد في هذه الخمسة ثابت بالنظر للواقع وعادات الملل والشرائع بالاستقراء**"، ومعنى كون هذه الأشياء ضرورية، هو أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل ستؤول إلى الفساد والتهارج وفوت الحياة، هذا في الدنيا.

أما في الآخرة ففوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، كما قرر ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله.

إذا تقرر هذا فعلى العاقل أن يصرف غاية حذقه في العناية بهذه الضروريات والاهتمام بها وحفظها حتى يسير في حياته على الاستقامة والنجاة، ولا يقع في ضد ذلك، والحفظ لها يكون بأخد أمرين: حفظها من جانب الوجود، وحفظها من جانب العدم، أما حفظها من جانب الوجود فيكون بفعل ما به قيامها وثباتها، وأما مراعاتها من جانب العدم فيكون بترك ما به تنعدم، والأمثلة على ذلك ليس هذا محل بسطها.

إذن فما قام به أولئك الأغمار الذين غرر بهم، وتغمسوا في أوحال الجهل والسفه والطيش، ولا شك أن ما قاموا به طعن في تلك الضروريات في نحرها وهدم لها من أساسها، وهذا مما لا نزاع فيه.

أما من حيث كونها اعتداء على الدين فظاهر بيِّن، وذلك لأنها أعمال منافية لروح الشرع الحنيف، وفيها كذلك فتح لباب كبير أمام العلمانيين الذين

> **قاضية**
> **بحرمة دم المسلم وأنه معصوم الدم،**
> **لقول الله عز وجل: "مِنْ أجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يزال المؤمن في فُسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً"**

يتربصون بالمومنين الدوائر حيث يجدون في مثل تلك الأعمال متمسكا، فيتسارعون إلى رفع عقيرتهم بالطعن في مبادئ الإسلام وأحكامه، وتسويد جرائدهم بصور لأناس أبرياء لا ناقة لهم في تلك الأعمال ولا جمل وذلك بوضع صورة رجل ملتح أو امرأة منتقبة تحت عنوان يضر الناظرين، مما يفضح خبث سرائرهم ونواياهم، ووضاعة أهدافهم ومبتغاهم.

أما من حيث كونها اعتداء على النفس، فنظرا لما تطفح به أدلة الشرع من نصوص قاضية بحرمة دم المسلم وأنه معصوم الدم، لقول الله عز وجل: "**مِنْ أجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**لن يزال المؤمن في فُسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**" رواه البخاري.

وفيها اعتداء من حيثية أخرى، وهي قتل الإنسان لنفسه فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة" رواه البخاري ومسلم.

وأما من حيث كونها اعتداء على العقل، فهو داخل في قتل النفس بطريق اللزوم، فهذا الذي قتل بغير حق قد يكون صاحب عقل سليم ومستنير، يستثمره فيما ينفع بلده وأمته الإسلامية، فبسفك دمه ظلما تضيع هذه المصلحة والله المستعان، فإذا كان الشارع شرع الحد على من يعطل هذا العقل بالمسكرات لفترة معين، فما بالك بمن يميت هذا العقل أصلا؟

وأما من حيث كونها اعتداء على المال، فغير خاف على أحد أن المال هو عصب الحياة، وهذه الأعمال فيها من الفساد والتبذير وإتلاف المباني وما تحويه من أشياء ما الله أعلم بمقدارها..

أما من حيث كونها اعتداء على النسل، فهو كذلك داخل في الاعتداء على النفس، وذلك لما في قتل النفس من قطع استمرارية النوع البشري من أولئك المجني عليهم، ولا يشك أحد أن الشَّرع رغب في الإنجاب وحث عليه وجعله من أسباب مباهاة النبي الكريم بأمته يوم القيامة بشرط أن يكون هذا النسل صالحا.

وإلى هلم جرا من المفاسد والخسائر التي تنتج من جرّاء هذه الأعمال الإجرامية نسأل الله العلي العظيم أن يلهمنا رشدنا ويجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الفرقان بين جهاد عباد الرحمن وفساد أولياء الشيطان

بقلم: محمد أبو الفتح

إن من الخطإ الذريع الإعراضَ عن تدريس الجهاد وأحكامه ومقاصده في الإسلام، وذلك لأمرين:

الأول: أن الإعراض عن هذا الموضوع وعن تدريسه بالمعنى الصحيح الذي جاء به الإسلام، يترك المجال رحبا أمام أصحاب الفكر الشاذ؛ ليدرسوه لأبناء المسلمين كما شاؤوا، في زمان تتعرض فيه الأمة لألوان من الاعتداء.

الثاني: أن استعمال القوة وحدها لا يكفي في القضاء على الفكر التكفيري، بل أثبتت التجربة أن قمع هذا الفكر بالحديد والنار، مع بقاء الشبه التي يحملها ويُرَوِّج لها، يجعله يختفي مؤقتا كما تختفي الأمراض الوراثية في أصلاب الآباء والأجداد، ليظهر من جديد بصورة انتقامية أعنف، بل إن السبب الأول لظهور وانتشار هذا الفكر في هذا القرن هو ما تعرض له الإخوان المسلمون في سجون مصر من العذاب والتنكيل، وذلك أن منهج الإخوان لا يعتني بباب العقيدة، ويعتبر تدريسها مفرِّقا للمسلمين، مما جعله منهجا قابلا لاحتضان كل فكر منحرف عن العقيدة الصحيحة، فخرج من رحمه هذا الولد العاق، وأنتج لنا هذا النتاج الفاسد، ولو كان الفكر التكفيري يُقضى عليه بالقوة لقضت عليه أقوى دول العالم، ولكن الصحيح أن الفكر لا يقضى عليه إلا بالفكر، وأن النار لا تطفأ بالنار. لأجل هذين السببين وغيرهما من الأسباب رأيت أن أقتحم هذا الموضوع فأقول وبالله التوفيق:

قتل الأنفس لم يكن يوما مقصودا لذاته في الإسلام

إن الله لم يرسل رسوله ولا أنزل كتابه لإزهاق الأرواح بغير حق، ولا لأجل الإفساد في الأرض أو إهلاك الحرث والنسل، وإنما أرسل رسوله رحمة للعالمين، كما قال تعالى مستعملا أسلوب الحصر: "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**"**الأنبياء**107، وأرسله سراجا يضيء للناس طريق الهدى في دياجير الضلال، كما قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**" الأحزاب، وأنزل كتابه ليحيي به القلوب الميتة؛ ولذلك سماه روحا، فقال سبحانه: "**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا**" الشورى، وسمى جبريل روحا لأنه ينزل بالوحي الذي تحيى به القلوب كما تحيى الأبدان بالأرواح، فقال: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ" الشعراء 193.

ولما كان مقصود هذا الدين هو الإحياء والإبقاء، وليس القتل والإفناء فإنه نهى تعالى عن قتل الأنفس بغير حق فقال:"**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ**" الإسراء33، بغض النظر عن كون هذه النفس مؤمنة أو كافرة، كما تدل على ذلك قصة موسى عليه الصلاة والسلام، حين قتل رجلا من آل فرعون ثم قال نادما: "**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**"، وإذا جاء الناس يسألونه الشفاعة في عرصات القيامة لِيُقضى بينهم اعتذر بقوله: "إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، **وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها**، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري" (أخرجه البخاري)، فالذي يظهر من القصة أن الذي قتله موسى لم يكن مسلما. ومما يدل على تعظيم قتل غير المسلم بغير حق قوله صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما" (البخاري).

وفي مقابل النهي عن قتل الأنفس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحيائها عن طريق تكثير النسل، بل رغب في إحياء الأرض الميتة فقال: "من أحيا أرضا ميتة فهي له" (أخرجه الترمذي وصححه الألباني).

فالإسلام جاء داعيا إلى إحياء النفوس والقلوب والأراضي الميتة، ولم يأت آمرا بإزهاق الأرواح ولا بالإفساد في الأرض، ولذلك فإنه لم يأمر بالقتل إلا إذا كان فيه إحياء، كما قال تعالى: "**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" (البقرة)، فأمر بقتل القاتل قصاصا لأنه يحصل بقتله حياة من بقي بعده، والشريعة جاءت داعية إلى تحصيل المصالح وتكثيرها، وإلى دَرء المفاسد وتقليلها، وعند التزاحم وتعذّر دفع المفاسد كلها، فإنها تُدفع أعظم المفاسد بارتكاب أخفها، فالقتل مفسدة لما فيه من تفويت نفس، لكنه يشرع إذا كانت المفسدة الناتجة عن إبقاء تلك النفس أعظم من المفسدة الحاصلة بإزهاقها، فقتل نفس واحدة بحق-كما هو الحال في القصاص- أولى من أن تقتل أنفس كثيرة بغير حق، والمقصود هو أن القتل في الإسلام ليس مقصودا لذاته.

الغاية من تشريع الجهاد

وحتى في الجهاد ليس القتل مقصودا لذاته؛ بل شرع الجهاد أولا دفاعا عن الأنفس حتى لا تقتل بغير حق كما قال تعالى: "**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**" (الحج)، فالقتال شرع هنا حفاظا على الأنفس المظلومة أن تزهق بغير حق.

شرع الجهاد حفاظا على الدين حتى لا تُستأصل شأفته كما قال تعالى: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**" **البقرة**193، فحفظ الدين مُقَدَّم على حفظ النفس، لأن الأنفس إنما خُلقت لإقامة الدين، ولا معنى لبقائها بعد ضياعه، ولذلك قال في الآية قبلها: "**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**"، وفي ذلك إشارة إلى أن القتل ليس مقصودا لذاته وإنما شرع هنا لدفع مفسدة أعظم منه وهي الفتنة في الدين.

وأخيرا شرع الجهاد لإحياء القلوب الميتة بالإسلام، ولإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، كما قال تعالى: "**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**" (الأنعام)، كان ميتا: أي كافرا فأحييناه بالإسلام، فالأرض أرض الله، والخلق كلهم مسلمهم وكافرهم ملكٌ لله، أفلا يكون من حقه تعالى أن يعبد في مُلكه، وأن يطبق شرعه في أرضه، وأن تكون كلمته هي العليا في خلقه.

فهنا أيضا ليس القتل مقصودا لذاته وإنما لما فيه من إحياء القلوب الميتة، وحياتها بالإيمان أولى من حياة الأبدان، لأن بحياتها في الدنيا بالإيمان تحيى الحياة الأبدية الكاملة في الآخرة، وتفوز بالسعادة السرمدية كما قال تعالى: "**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**" (العنكبوت) أي: هي الحياة الكاملة.

وإني لأعجب من أعداء الإسلام الذين يطعنون فيه بسبب تشريعه الجهاد ثم يرخصون لأنفسهم أن يقطعوا القارات والبحار ليستعمروا بلدا مسلما بذريعة نشر الديمقراطية بالحديد والنار، وبحجة تحرير شعبه من نظام طالما كانوا يؤيدونه وينصرونه، وليتهم إذ فعلوا ذلك أرشدوا ضالا، أو أمنوا خائفا، أو أقاموا عدلا، لكنهم جمعوا حشفا وسوء كيل. وأعجب من صنيعهم هذا أن ينساق وراءهم في الطعن على الإسلام قوم من بني جلدتنا، ممن يسمى بمحمد وأحمد.

ومما يدل على أن القتل ليس مقصودا في الإسلام، قوله تعالى: "**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**" (الأنفال)، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، **فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم**.." (رواه مسلم)، وكان ينهى عن قتل من لا يقاتل من النساء والصبيان، وفي غزوة الحديبية جنح إلى السلم مع المشركين مع ما تضمنه الصلح من الشروط المجحفة.. كل هذا وغيره يؤكد الحقيقة السابقة: **أن قتل الأنفس لم يكن يوما مقصودا لذاته في الإسلام.**

وفي تقديري أن هذه هي الشبهة التي وقع فيها ابن لادن ومن سار على دربه، فإنهم ظنوا أن القتل مقصود لذاته في الجهاد الذي شرعه الله، لذلك تجدهم يباركون - إن لم يكونوا هم الفاعلين- ما حصل في 11 شتنبر في الولايات المتحدة من قتل 3000 آلاف نفس، من غير أن ينظروا إلى المفاسد العظيمة التي نتجت عن ذلك، والتي من أعظمها استعمار دولتين، ثم ما نتج عن ذلك من فتن راح ضحيتها مئات الألوف، ولازال العراق وأفغانستان يعيشان في ويلاتها إلى هذه الساعة، ولم يتحقق من ورائها إحياء أنفس، ولا إحياء قلوب بالإسلام، بل إزهاق أنفس وتنفير عن الإسلام، فهذا فساد محض والله لا يحب الفساد، قال تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (القصص).

تحقق الأمن والأمان ضرورة لإقامة العبودية للرحمن
"من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه"
"من استطال الطريق ضعف مشيه"

رشيد مومن الإدريسي

من المعلوم في الشريعة أن الأمن والأمان لا يتحققان، ولن يتحققا إلا بتحقيق الإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى: "**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**".

قال السعدي في تفسيره للآية: "قال الله تعالى فاصلا بين الفريقين "**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا**" أي: يخلطوا "**إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**" الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء". تيسير الكريم الرحمن.

وفي ذلك قال الشاعر:

الإيمــان ضــاع فــلا أمــان ... ولا دنيا لمن لم يحي دينا
ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

وإذا كان الأمر كذلك، فكذلك لا سبيل لتحقيق الإيمان والعمل الصالح وعبادة الله جل وعلا، إلا في ظل الأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار.

وعليه كان الحفاظ على أمن المجتمعات من أجلِّ مقاصد الشريعة، ومن أعظم مصالحها، بل هو رأسها وأساسها، لأن فقده عنوان الرزايا، ومفتاح البلايا، حيث يعم الاضطراب، وتشيع الفوضى، ويفتح باب الخوف والرعب، وتتمزق المجتمعات، وتضيع الطاعات، وتغيب شعائر رب الأرض والسماوات.

يقول الله تعالى: "**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**".

ومن أظهر الآيات في هذا المعنى قوله تعالى: "**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**".

فجعل الله عز وجل تحقق الأمن والأمان سبيلا لإقامة عبادة الله وطاعته.

يقول السعدي رحمه الله عند تفسيره للآية: "فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، **بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله**" تيسير الكريم الرحمن 375/3.

ومن ثم فيجب الحذر من زعزعة أمن المجتمعات، ومن ترويع المؤمنين والمؤمنات، **واتخاذ طرائق للتغيير تخالف ما جاء في السنة والكتاب المستنير، سبلا طائشة، ومسالك عابثة، قائمة -حقا وصدقا- على المغالبة والتهور والاستعجال لا على الصبر والتأني والاعتدال، كل ذلك بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ضيق الحال أو انتشار المنكرات، وشيوع المخالفات...!!!**

فنقول لمن قام وقعد، وأزبد وأرعد... ما هكذا الغيرة على المحرمات؟! وليس هذا طريق إصلاح المجتمعات؟!وهل هذا سبيل الخروج من الأزمات؟! ومتى كان العنف يقيم أمر الديانات؟!

قال عليه الصلاة والسلام: "**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه**" رواه مسلم.

وها هو النبي صلى الله عليه وسلم قد مر على آل ياسر وهم يذوقون أشد العذاب على يد قريش ولم يقم بأي عمل ينتقم به مع إمكانه، ولكنه لم يردَّ على الأذى الذي تلقاه آل ياسر إلا بهذه الكلمات النيرات: "**صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**".

وليس في هذا خنوع أو ضعف، وإنما هي الحكمة والهداية والتعقل والرزانة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "**إنكم لن تبلغوا هذا الأمر بالمغالبة**" رواه أحمد وغيره, وانظر الصحيحة 1709/4.

إذن فعلى المسلم أن يصبر ويحتسب ويدعو الله بالثبات إذا زادت غربة الإسلام، وأن يبتعد عن طرق التهييج والانتقام، مع الدعوة والنصح والبيان، والتوبة وطلب المغفرة من الرحمن.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله المفترى عليه: "**وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر، وإن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار**" الفتاوى 291/18.

فلنتواصى -يا رعاكم الله- بالصبر على البلاء، والثبات إذا وقع القضاء، ولنكن بشير خير، ولا نكوننَّ نذير شر، ولنقل للمتشائمين بعد طول انتظار كما قال النبي العدنان عليه الصلاة والسلام لأصحابه الكرام حينما اشتكوا من كثرة البلاء وشدته: "**والله ليتمن الله هذا الأمر... ولكنكم تستعجلون**" صحيح سنن أبي داود.

إنها صيحة نبوية توقظ العقول الغافلة، وتنبه القلوب الخاوية، امتدت منذ نحو خمسة عشر قرنا مضت إلى هذه اللحظة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، درسا تربويا، ومنهجا علميا، وطريقا نبويا، قائما على البرهان والدليل، يهدي من اتبعه سواء السبيل.

يقول العلامة السعدي رحمه الله: "... العبد عبد مملوك تحت أوامر ربه ليس له من الأمر شيء (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً**)، فإذا تعجل الأمور التي يترتب عليها حكم شرعي قبل وجود أسبابها الصحيحة لم يُفده شيئا وعوقب بنقيض قصده..، ويقابل هذا الأصل أصل آخر، أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ولم يجد فقده" القواعد والأصول الجامعة 49-50.

ورحمة الله على أهل العلم لما قالوا: "**من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه**".

مع التنبيه أنه ليس في هذا الذي قُرر -لا من قريب ولا بعيد- تغييب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذلك لأن هذه الشعيرة العظيمة إذا لم تكن منضبطة بالضوابط الشرعية المنصوص عليها في الكتاب والسنة النبوية وما جاء عن السلف الصالح، فإنها وبال على الأمة، وباب فتنة على القائم به، وعلى المسلمين.

وها هم الخوارج والمعتزلة في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لما انطلقوا من منطلقات بدعية بعيدة عن النصوص الشرعية، والآثار الصحابية، ومراعاة المصالح المرعية، ودرء المفاسد الردية، نجم عن ذلك الفساد العريض، والتصدع الكبير في جسم الأمة، فسالت الدماء وهتكت الأعراض ونهبت الأموال وقتل النساء والأطفال.

كل ذلك تحت اسم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!.

يقول ابن خلدون رحمه الله: "ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغاء والدهماء، ويُعَرِّضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم" المقدمة 157-158.

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وفي الآية "**عليكم أنفسكم**" معنى آخر وهو: إقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا، وإعراضه عما لا يعنيه كما قال صاحب الشريعة: (**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**)...

وكذلك العمل فصاحبه إما معتد ظالم وإما سفيه عابث.

وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان" الفتاوى 482/14.

فالحذر الحذر من بنيات الطريق، التي تشكك وتُخَذل عن السبيل القويم الذي هو على منهج السلف الصالح قائم، والذي اعتدل في سيره وتوسط في مشيه، فقد انحرف كثير ممن انحرف استئناسا بالتعدد، وتوحشا من التفرد، واستعجالا للوصول، وضعفا وانهزاما عن تحمل الطول، ورحمة الله على الفضيل ابن عياض حيث قال: "عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين وإياك وطرق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين"، وصدق ابن القيم رحمه الله حيث قال: "**من استطال الطريق ضعف مشيه**" الفوائد 90.

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

"فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"

لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا

قد أمر الله سبحانه بالخوف منه في قوله: "**فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**" آل عمران، فجعل الخوف شرطا في تحقيق الإيمان، مما يدل على أنه عبادة لله جل وعلا.

قال الناظم:

وخوفنا دليلــه قــبل (النسا)

بـ (آل عمران) أبن لمن أسا

ومعنى قوله "**فَلاَ تَخَافُوهُمْ**": فلا تخافوا أولياء الشيطان، ولا يعظمن عليكم أمرهم، "**وَخَافُونِ**": اتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري، "**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**" لأن الإيمان يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله سبحانه على خوف غيره كما يحجزه ذلك عن مواقعة ما حرم.

قال أحد السلف: "**لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا**" المفردات للراغب 162.

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: "الإنسان إذا لم يخف من الله اتبع هواه ولا سيما إذا كان طالبا ما لم يحصل له، فإن نفسه تبقى طالبة لما تستريح به، وتدفع به الغم والحزن عنها، وليس عندها من ذكر الله وعبادته ما تستريح إليه وبه، فيستريح إلى المحرمات من فعل الفواحش وشرب المحرمات وقول الزور" الفتاوي 1/54-55.

والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف: الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية، والخوف من الله لا يراد به ما يخطر على البال من الرُّعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات.

والخيفة: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف، كما قال تعالى: "**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى**".

والخوف أنواع:

الأول: الخوف الطبيعي، كالخوف من العدو أو الحية فهذا ليس بعبادة، ولا ينافي الإيمان كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: "**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**"، وهذا الخوف لا يلام عليه الإنسان إذا انعقدت أسبابه، أما إذا كان وهميا أو له سبب ضعيف فهو مذموم لأن صاحبه جبان.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفا من الناس، كأن يترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوفا من الخلق فهذا خوف محرم.

الثالث: ما يسمى بخوف السر، وهو أن يخاف المرء من غير الله من وثن أو ولي بعيد عنه أن يصيبه بمكروه مثلا فمن تلبس بذلك فقد وقع في الشرك الأكبر وهو المقصود في قوله تعالى عن قوم هود: "**إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**".

الرابع: خوف تعبد وتعلق وهو أن يخاف أحدا يتعبد بالخوف له فيدعوه الخوف لطاعته، وهذا النوع هو خوف التعبد والتأله الذي يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية وهذا خاص بالله تعالى، ومن صرفه لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر كالنوع الذي سبق لأن الخوف من أعظم أنواع القلوب.

أهل السنة أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق

رشيد مومن الإدريسي

لما كان أهل السنة والحديث أصحاب هدي واتباع، وأرباب عمل واقتداء، عرفوا بصفات أخلاقيّة رفيعة تميزوا بها عن غيرهم، ومن أبرز ذلك وأظهره أنهم أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق، ذلك لأنهم يقبلون الحق حيث كان وممَّن كان، وكما يحرصون على رفع الجهل عن أنفسهم يسعون لرفعه عن غيرهم بالدعوة والإرشاد والبيان، فكانوا أوسع الناس رحمة وأعظمهم شفقة وأصدقهم نصحا، فهم نقاوة المسلمين، وهو خير الناس للناس.

يقول شيخ الإسلام رحمهم الله: "والخوارج هم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمهم، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة يكفرون من خالفهم فيها، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله، **فيتبعون الحق ويرحمون الخلق**" الفتاوي 3/279.

وقال كذلك رحمه الله: "وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**"، ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشرَّ لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق" الرد على البكري 256257.

"كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعا، وقد جعلت أبا إسحاق (يعني: المعتصم) في حل، ورأيت الله يقول: "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ"، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، ثم قال: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سبيلك"

مصدر هذه الخصلة الكريمة

تلقى أهل السنة هذه الصفة الحميدة من صاحب الخُلُق العظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بالحق وأعظم الناس رحمة ورأفة، فمن أجل إظهار الحق بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، ومن أجل نصرة الحق نجده صلى الله عليه وسلم يغضب أشد الغضب إذا انتهكت محارم الله.

قال الله تعالى: "**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**".

فها هو النبي عليه الصلاة والسلام مع ما لقيه من الأذى في سبيل دعوته ونصحه للخلق لما سألته عائشة رضي الله عنها قائلة: "**يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**" صحيح.

السلف والتطبيق العملي للعدل والعلم والرحمة

لقد سار على ذلك سلف الأمة فهذا أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما رأى سبعون رأسا من الخوارج وقد جُزَّت تلك الرؤوس ونصبت على درج دمشق، فقال رضي الله عنه إعلاما للحق: سبحان الله ما يصنع الشيطان ببني آدم، كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء ثم بكى قائلا: **بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام**. أنظر الاعتصام 71/1.

وكان أويس القرني رحمه الله إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلا تواخذني به، ومن مات عريانا فلا تواخذني به. صفة الصفوة 54/3.

وهذا الإمام أحمد رحمه الله يثبت على كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم، فيقول بكل يقين "من الفتنة: القرآن كلام الله غير مخلوق، ويصبر الإمام على ما أصابه من أنوع الإيذاء والفتنة من قبل رؤوس المعتزلة آنذاك ومن تبعهم من الخلفاء، ومع ذلك البطش الذي لقيه رحمه الله إلا أننا نجده يقول: "**كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعا، وقد جعلت أبا إسحاق (يعني: المعتصم) في حل، ورأيت الله يقول: "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ"، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، ثم قال: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سبيلك**" مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.

وها هو الإمام ابن تيمية يقول عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله: "جئته يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، فسروا به ودعوا له" المدارج 345/2.

وقال أحد خصومه -وهو ابن مخلوف-: "ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا" البداية والنهاية 54/14.

وليعلم أن الذي أورث أهل السنة هذه الخصلة العظيمة التزامهم بالعلم والعدل حتى كانوا لكل طائفة من المبتدعة -فضلا عن عامة الناس- خير من بعضهم لبعض، "بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة من بعض- وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضا" منهاج السنة 157/5.

وأخيرا ندعوا المسلمين عموما إلى ضرورة معرفة الحق ورحمة الخلق، وأن يسعوا إلى تحقيق العلم والعدل وأن يكونوا جادين صادقين في التزام منهج أهل السنة عقيدة وسلوكا وأخلاقا، والله المستعان.

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

بيان الباطل والإنكار على من وقع فيه رحمة وإحسان، لا تشفي وانتقام

من الأصول المقررة عند أهل السنة: أن الرد على أهل الأهواء، وبيان الباطل والإنكار على من وقع فيه -لمن تأهل لذلك وأحسنه- من أهم المهمات وأعظم الواجبات.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "واشتد نكير السلف والأئمة للبدعة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك بما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد" المدارج 327/1.

وقال المروذي رحمه الله: "قلت لأبي عبد الله، يعني: إمامنا (الإمام أحمد): ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع؟ فكلح في وجهه وقال: إذا هو صام وصلى واعتزل الناس، أليس إنما هو لنفسه؟ قلت: بلى. قال: فإذا تكلم كان له ولغيره، يتكلم أفضل" طبقات الحنابلة 216/2.

لكن مما ينبغي الحذر منه في هذا المقام: التعدي ومجاوزة الحد المشروع عند بيان الباطل والإنكار على أهله.

قال تعالى: "**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**".

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في معرض ذكره لفوائد قوله تعالى: "**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتهم**": "ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم... فإن كثيرا من الآمرين الناهين قد يتعدى حدود الله إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين"، ثم قال: "وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين الأمة وعلمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها وجدت أكثره من هذا الضرب الذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل... كما بغت الرافضة على المستنة مرات متعددة، وكما بغت الناصبة على علي وأهل بيته، ... **وكما قد يبغي بعض المستنة إما على بعضهم وإما على نوع من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله به وهو الإسراف المذكور في قولهم (ربنا اغفرنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا)**" الفتاوي 481/14-483.

وها هو الإمام الذهبي رحمه الله يبين أن بغض المبتدعة أدى بالبعض إلى تجاوز طريقة السلف والخروج عن العدل فقال في ترجمة يحيى بن عمار رحمه الله: "وكان متحرقا على المبتدعة والجهمية، بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف وقد جعل الله لكل شيء قدرا" تهذيب السير.

وذكر أيضا في ترجمة ابن منده رحمه الله: "أنه نهى عن الدخول على بعض من وقع في مخالفة مذهب السلف في أمور تخص الاعتقاد، وقال (أي: ابن منده): "على الداخل عليهم أحرج أن يدخل مجلسنا أو يسمع منا، أو يروي عنا، فإن فعل فليس هو منا في حِل".

وعلق الذهبي على ذلك فقال: "قلت: ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدَّة، فيقع في الهجران المحرم، وربما أفضى ذلك إلى التكفير والسعي في الدم" السير.

وعليه فليس من العدل ولا من المروءة أن يستغل المتبع لطريقة السلف الصالح، ومنهج أهل السنة والحديث تبديع العلماء المعتد بهم لشخص وتحذيرهم منه ومن كلامه، فيفرِّغ **أحقاده الشخصية**، ويلبسها ثوب الحرص على السنة، والنقمة على البدعة، مستجيبا لدعاوي الهوى التي تحركه فيتجاوز الحدود الشرعية وطريقة السلف المرعية.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن المبتدع: "**يُبيَّن أمره للناس ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله...وهذا كله ينبغي أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى، لا لهوى الشخص مع الإنسان، مثل أن تكون بينهما عداوة دنيوية، أو تحاسد، أو تباغض، أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساويه مظهرا للنصح، وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان**" الفتاوي 221/28.

وفي تعليله رحمه الله للقول بهجر المبتدع الداعي لبدعته والتغليظ في ذمه يقول: "**والمقصود بذلك ردعه، وردع أمثاله، للرحمة والإحسان لا للتشفي والانتقام**" منهاج السنة 239/5.

العبرة بكثرة المحاسن والفضائل "المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه"

من المعلوم أنه لا يخلوا إنسان من العيب والنقص مهما كان فضله وبلغت منزلته، ولكن من الإجحاف ما نراه من زهد بعض الناس في آخرين لوقوفهم على ما أخطئوا فيه وزلوا مع قلة ذلك!

ورحم الله سعيد بن المسيب حيث قال: "فليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب ولا بد، ولكن من الناس من لا تذكر عيوبه.. من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله" الكفاية 79.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه" القواعد لابن رجب 3، انظر تعليق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله على هذا الكلام.

وهذا الذي ذكره الحافظ ابن رجب رحمه الله يمثل منهجا صحيحا للسلف الصالح وأهل السنة في الحكم على الأشخاص.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى خبث يقع فيه، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم...) " مفتاح دار السعادة 529/1.

وتقرير ذلك مبناه على اعتبار الغالب على المرء، على حد قول أهل العلم: "الشيء يحكم له أو عليه بما غلب عليه".

وفي ذلك قال الشافعي رحمه الله: "فإنِ كانِ الأغلب على الرجل من أمره الطاعة والمروءة قَبِلتُ شهادته وروايته، وإن كان الأغلب المعصية وخلاَف المروءة رددتها" إرشاد الفحول 98.

وقال أبو الحسن الماوردي رحمه الله: "وبذلك جرت عادة الخلق أنهم يعَدِّلون العادل بالغالب من أفعاله، وربما أساء، ويفسقون الفاسق بالغالب من أفعاله، وربما أحسن" درر السلوك 65.

وعليه فإن العبرة في تقويم الأشخاص كثرة المحاسن والفضائل.

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله: "ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ وإنما العبرة بكثرة المحاسن" السير 46/20.

وها هو الحافظ الحكمي رحمه الله في تغليب خيرية الصحابة رضي الله عنهم على ما قد يرد في خصوص بعضهم من أخبار الفتن يثبت مبدأ تغليب المحاسن واعتبار كثرة الفضائل حيث قال: "ولهم من الفضائل والصالحات والسوابق ما يُذهب سيئ ما وقع منهم إن وقع، وهل يغير يسير النجاسة البحر إذا وقعت فيه، رضي الله عنه وأرضاهم" أعلام السنة المنثورة 185.

مع التنبيه -هنا- أن اعتبار غلبة المحاسن صحيح مع اعتبار سلامة المنهج، و×وضوح التصور، وصفاء الاعتقاد، وصحة الأصول، بل نقول مستفهمين استفهاما تقريريا: وهل يتصور صحة ذلك إلا بذلك؟!

وقد وضح ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض بيانه لزلة وقع فيها الشيخ الهروي رحمه الله صاحب كتاب المنازل حيث قال في حقه: "ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه، وإساءة الظن به، **فمحلُّه من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يجهل**، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، والكامل من عد خطؤه، ولا سيما في مثل هذا المجال الضنك، والمعترك الصعب الذي زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام" المدارج 219/1.

إذن فالمرء يمدح بكثرة ما له من الفضائل والمحاسن، ومن الاعتساف والخروج عن الفطرة السوية والإنصاف: أن ندفن كثرة خير المرء لقلة زلله وعيبه، فإنه مما هو "معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها" مفتاح دار السعادة 531/1.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن" السير 378/8.

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الفرق بين الصبر وقسوة القلب

قال ابن القيم رحمه الله:

"الفرق بين الصبر والقسوة أن الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد، وهو: حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخُّط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية.

وأما القسوة: فيبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله.

وتحقيق هذا أن القلوب ثلاثة: قلب قاس غليظ بمنزلة اليد اليابسة، وقلب مائع رقيق جدا، فالأول لا ينفعل بمنزلة الحجر، والثاني بمنزلة الماء، وكلاهما ناقص، وأصح القلوب القلب الرقيق الصافي الصلب، فهو يرى الحق من الباطل بصفائه وبقلبه، ويؤثره برقته ويحفظه ويحارب عدوه بصلابته. وفي الأثر: "القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها"، وهذا القلب الزجاجي، فإن الزجاجة جمعت الأوصاف الثلاثة وأبغض القلوب إلى الله القلب القاسي قال تعالى: "فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّه" وقال تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" وقال تعالى: "لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ"، فذكر القلبَين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته، وجعل إلقاء الشيطان فتنة لأصحاب هذين القلبين ورحمة لأصحاب القلب الثالث، وهو القلب الصافي الذي ميز بين إلقاء الشيطان وإلقاء الملك بصفائه وقبل الحق بإخباته ورقته وحارب النفوس المبطلة بصلابته وقوته، فقال تعالى عقيب ذلك: "وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" الروح.

عبد الله الحمداوي

ذكر الناس داء، وذكر الله دواء

هناك آيات كثيرة في حفظ اللسان، والترهيب من إطلاقه بغير تدبُّر، منها قول الله تعالى: "**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**" وقوله تعالى: "**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**" إلى غير ذلك من الآيات.

وثبت في الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**".

وقال عليه الصلاة والسلام: "**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة**" البخاري.

وفي المقابل وردت أحاديث كثيرة في فضل ذكر الله تعالى وكتب السنة والأذكار مليئة بها، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لرجل قال له: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي! فأوصني، قال: "**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**" صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: "**سبق المفردون قالوا: وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**" رواه مسلم.

فالعاقل خصم نفسه، ومن تدبر ما ورد في حفظ اللسان عن اللغو وفضل الذكر، فإنه ولا شك سيشغل نفسه بما يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة، ويتجنب بذلك الآفات والشرور.

قال السعدي رحمه الله:

ولو لم يكن في ذكره غير أنه
طريق إلى حب الإله ومرشد
وينهى الفتى عن غيبة ونميمة
وعن كل قول للديانة مفسد

الدرة الفاخرة 17.

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض كلامه عن فضائل الذكر: "أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب، والفحش والباطل، فإن العبد لا بد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى، والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عوَّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يَبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطَّب بكل باطل ولغو وفحش" الوابل 87-88.

وعليه كان ذكر الخلق من الأدواء، وذكر الله من أعظم الدواء.

قال ابن عون رحمه الله: "ذكر الناس داء، وذكر الله دواء".

قال الذهبي معلقا: "اي والله، فالعجب منَّا ومن جهلنا، كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟! قال الله تعالى: "**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**" وقال: "**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**" وقال: "**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**"، ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله، ومن أدمن الدعاء ولازم قَرْعَ الباب فتح له" السير 369/6.

وقال السعدي رحمه الله في فتاويه في معرض نصحه للمتعلمين: "وليحذر من الاشتغال بالناس، والتفتيش عن أحوالهم، والعيب لهم، فإن ذلك إثم حاضر، والمعصية من أهل العلم أعظم منها من غيرهم، ولأن غيرهم يقتدي بهم...ولأن الاشتغال بالناس[1] يضيع المصالح النافعة، والوقت النفيس ويذهب بهجة العلم ونوره".

---

[1]: إلا بيانا لحق، أو ردا لباطل، أو نقضا لبدعة، أو تحذيرا من منحرف مضل -بالضوابط والشروط الشرعية-.

تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة

من عرف الله قرت عينه به، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات، ومن عرف الله لم يبق له رغبة فيما سواه، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت رغبته معرفته، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره واستحيا منه، وأجلَّه وعظمه على قدر معرفته به، فما أحوج الناس إذن إلى معرفة ربهم خاصة إذا علموا أن معرفة الله في الرخاء سبب لمعرفته لهم سبحانه -فضلا ومنة- في الشدة.

قال عليه الصلاة والسلام: "**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**" الصحيحة.

وقال أحد السلف: "من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق" المدارج.

ومعنى قوله (**تعرَّف إلى الله**) بتشديد الراء المفتوحة أي تحبب إليه وتقرب من رحمته ورضاه بلزوم الطاعات واجتناب المنهيات والإنفاق في القربات والشكر على ما أولاك وأعطاك.

(**في الرخاء**) أي: في زمن سعة الرزق وصحة البدن.

(**يعرفك**) أي: يجازيك.

(**في الشدة**) أي: في زمن نزول المصائب والمكروهات بك، فيفرج عنك الهموم، ويكشف عنك الغموم، ويجعل لك في كل همٍّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجا.

قال ابن رجب رحمه الله: "فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدهما: المعرفة العامة: وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان، وهذه عامة للمؤمنين.

والثانية: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه والأنس به، والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له: وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل.

ومعرفة الله بعبده نوعان:

معرفة عامة: وهي علمه سبحانه بعباده واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه كما قال: "**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**" وقال: "**هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**".

ومعرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاؤه من الشدائد وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه: "**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**"..." جامع العلوم والحكم.

وقد دلت الحوادث والوقائع على معنى ذلك كما في قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار، فنزلت عليه صخرة سدت فم الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم. متفق عليه.

وفي قصة موسى عليه السلام وفرعون آية، فالأول ذكر الله في الرخاء فلمَّا نزلت به الشدة عرفه الله، والآخر لم يذكر الله في الرخاء فلما نزلت به الشدة قال: "**آمنت**" فقال الله له: "**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**".

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

قــرآن وسنــة

سنة مهجورة!

"صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين"

غلب على كثير من الناس أن يصلوا السنن في المساجد سواء قبل الفريضة أو بعدها ولو علم أحدهم أن بيته يفتقر إلى مثل هاتين الركعتين لتبرع بجزء صغير من إحدى حجرات بيته ليتخذه مصلى يذكر الله فيه ويناجيه ويتفقد أحوال قلبه في ذلك المصلى بعد كل فريضة يقضيها في المسجد، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"**أيها الناس صلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**" رواه البخاري ومسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "**صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين**" صحيح الجامع 3821.

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة**" (صحيح).

ويستثنى من الأفضلية ما يختص بالمسجد من السنة كركعتي تحية المسجد مثلا، ومن أغنى الثمار المرجوة من اتباع هذه السنة التبرك بها لنزول الرحمة عليك وعلى أهل بيتك، فإن المسلم أحوج ما يكون لذلك وقد يستطيع ترويض نفسه على موازنة صلاته ظاهراً وباطناً بين بيته والمسجد ليكون ذلك أبعد عن الرياء، وقد يكون هذا باب خير في أن يتفقد نفسه في جميع العبادات ليكون حريصاً ألا يداخله الرياء، وكذلك ليخلو مع نفسه قليلاً متجهاً إلى الله في خلوته ملتجئاً إليه سبحانه وتعالى يشكو همومه وأحزانه لفاطر السموات والأرض، منكسراً بين يديه معترفاً بذنوبه وتقصيره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : "**كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر أربعاً ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصل ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصل ركعتين**" رواه مسلم.

وكان يُصلي -أي النبي صلى الله عليه وسلم- عامةَ السنن، والتطوع الذي لا سبب له في بيته، لا سيما المغرب، فإنه لم يُنقل عنه أنه فعلها في المسجد البتة (أنظر زاد المعاد).

فحرص المسلم على اتباع السنة يزيد من قوة إيمانه ووضوح اتصاله بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فتجده متميزاً عن الناس وقد تفتحت مداركه وقويت فراسته، وعظم قدره عند الله ببركة تطبيقه واتباعه وحرصه على سنة محمد صلى الله عليه وسلم.

آية وتفسير

قال تعالى: "**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**" (النجم).

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير:

..بعد أن وصف مداركهم الباطلة وضلالهم فَرَّع عليه أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم، ذلك لأن ما تقدم من وصف ضلالهم كان نتيجة إعراضهم عن ذكر الله وهو: التولّي عن الذكر، فحق أن يكون جزاؤهم عن ذلك الإعراض إعراضاً عنهم، فإن الإعراض والتولي مترادفان أو متقاربان..

فالمراد بـ زمن توليس الفريق الذين أعرضوا عن القرآن، وهم المخاطبون آنفاً بقوله: "**ما ضل صاحبكم وما غوى**" (النجم)..

..وحقيقة الإعراض: لفت الوجه عن الشيء لأنه مشتق من العارض وهو صفحة الخد لأن الكاره لشيء يصرف عنه وجهه.

وحقيقة التولي: الإدبار والإنصراف، وإعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنهم المأمور به مراد به عدم الاهتمام بنجاتهم لأنهم لم يقبلوا الإرشاد، وإلا فإن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بإدامة دعوتهم للإيمان فكما كان يدعوهم قبل نزول هذه الآية فقد دعاهم غير مرة بعد نزولها..

..وجيء بالاسم الظاهر في مقام الإضمار فقيل "**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا**" دون : فأعرض عنهم لما تؤذن به صلة الموصول من علة الأمر بالإعراض عنهم ومن ترتب توليهم عن ذكر الله على ما سبق وصفه من ضلالهم، إذ لم يتقدم وصفهم بالتولّي عن الذكر وإنما تقدم وصف أسبابه، والذكر المضاف إلى ضمير الجلالة هو القرآن.

ومعنى "**وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**" كناية عن عدم الإيمان بالحياة الآخرة كما دل عليه قوله : "**ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ**" لأنهم لو آمنوا بها على حقيقتها لأرادُوها ولو ببعض أعمالهم.

وجملة "**ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ**" اعتراض وهو استئناف بياني بيِّن به سبب جهلهم بوجود الحياة الآخرة، لأنه لغرابته مما يسأل عنه السائل وفيه تحقير لهم وازدراء بهم بقصور معلوماتهم.

وقال الفخر الرازي:

قال تعالى: "**ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ**" ..فيه وجوه:

الأول: أظهرها أنه عائد إلى الظن، أي غاية ما يبلغون به أنهم يأخذون بالظن.

وثانيها: إيثار الحياة الدنيا مبلغهم من العلم، أي ذلك الإيثار غاية ما بلغوه من العلم.

ثالثها: "**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى**" وذلك الإعراض غاية ما بلغوه من العلم، والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالمعلوم، وتكون الألف واللام للتعريف، والعلم بالمعلوم هو ما في القرآن، وتقرير هذا أن القرآن لما ورد بعضهم تلقاه بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى، وبعضهم قبله من حيث إنه معجزة، واتبع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى، وبعضهم توقف فيه كأبي طالب، وذلك أدنى المراتب، وبعضهم رده وعابه.

فالأولون لم يجز الإعراض عنهم، والآخرون وجب الإعراض عنهم، وكان موضع بلوغه من العلم أنه قطع الكلام معه الإعراض عنه.

وجاء في التفسير الميسر: "**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا**"، وهو القرآن، "**وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**"، ذلك الذي هم عليه هو منتهى علمهم وغايتهم، إن ربك هو أعلم بمن حادَ عن طريق الهدى، وهو أعلم بمن اهتدى وسلك طريق الإسلام.

وفي هذا إنذار شديد للعصاة المعرضين عن العمل بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المؤثرين لهوى النفس وحظوظ الدنيا على الآخرة.

ماذا يفعل المستخير بعد صلاة الاستخارة؟

إذا صلى المسلم صلاة الاستخارة أقدم على ما ينوي فعله، فإن كان خيراً يسَّره الله له، وإن كان شرّاً صرفه الله عنه وأبعده منه.

ويعتقد كثير من الناس أو بعضهم أن المستخير إذا استخار ربه في شيء عليه أن ينتظر حتى يرى مناماً في نومه، وبناء على الرؤيا التي يراها يفعل أو لا يفعل، وهذه خرافة لا أصل لها من الدين، ولا تبنى الأحكام الشرعية على المنامات، فمتى استخرت الله لعمَل ما، توكل عليه واستمر وأقدم على ما تريد، ولا تنتظر مناماً ولا انشراح صدر، لأن انشراح الصدر لا ضابط له، فقد ينشرح الصدر لهوى في النفس داخلها قبل الاستخارة.

قال عز الدين بن عبد السلام رحمه الله: "يفعل ما اتفق"[1].

وقال محمد بن علي كمال الدين الزملكاني رحمه الله: "إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر، فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرحت نفسه له أم لا، فإن فيه الخير وإن لم تنشرح نفسه" قال: "وليس في الحديث انشراح النفس"[2].

وينبغي على المستخير أن يجرد نفسه من الهوى، فلا يتبع هواه وما تميل إليه نفسه، بل يخلع ذلك كله ثم يستخير ويتوكل على الله سبحانه، قال القرطبي المالكي رحمه الله: "قال العلماء: وينبغي له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلاً إلى أمر من الأمور"[3].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والمعتمد أنه لا يفعل ما ينشرح به صدره مما له فيه هوى قوي قبل الاستخارة"[4].

---

(1): الفتح .(11/223)

(2): طبقات الشافعية الكبرى .(9/206)

(3): الجامع لأحكام القرآن .(13/206)

(4): الفتح (11/22)

من نفيس كلام ابن الجوزي

ويحك! أنت في القبر محصور إلى أن ينفخ في الصور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مطلق أو مأسور، فما هذا اللهو و الغرور!

يا هذا زاحم باجتهادك المتقين، وسر في سرب أهل اليقين، هل القوم إلا رجال طرقوا باب التوفيق ففتح لهم، و ما نيأس لك من ذلك.

ألا رُب فرحٍ بما يؤتى قد خرجَ اسمه مع الموتى، ألا رُبَّ مُعرض عن سبيل رُشده، قد آن أوانُ شقّ لحدِه، ألا رُب ساعٍ في جمع حطامه، قد دنا تشتيت عظامه، ألا رُب مُجد في تحصيل لذاته، قد آن خراب ذاته.

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

المعالم السبعة في طريق تربية الولد (من خلال وصية لقمان لابنه) -الجزء الثالث-

بقلم: حمّاد القبّاج

نقف في حلقة هذا العدد مع معلم جديد؛ وهو: المعلم الرابع: المحافظة على العبادات



وإليه الإشارة في قوله سبحانه مخبرا عن لقمان رحمه الله: {يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ}.

وذَكَرَ الصلاةَ لأنها أعظم العبادات العملية، ومن حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع، وقد جعلها الله الركن الثاني من أركان دينه، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أول ما سنحاسب عليه من الأعمال، وقد أمرنا الله بإقامتها في القرآن العظيم في أكثر من ثلاثين آية.

فوضحي لولدك هذه المعاني، ومُريه بالصلاة وهو ابن سبع وحببيها له، واضربيه على تركها وهو ابن عشر، ولا تُقصِّري في ذلك.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ". [رواه أبو داود].

وليس الأمر مقتصرا على الصلاة، بل يشرع لك تعويده على سائر العبادات؛ من صيام وحج وتلاوة للقرآن، وتعوَّد الفتاة على الحجاب..، وهكذا.

وقد قال الشاعر:

وينشئ ناشئ الفتيان فينا
على ما كان عوّده أبوه

وهذا هدي نبوي، وسنة محمدية؛ كما تدل على ذلك الأحاديث التالية:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: "مَنْ الْقَوْمُ؟" فَقَالُوا: "مَنْ أَنْتَ؟" فَقَالَ: "رَسُولُ اللَّهِ". فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا، فَقَالَتْ: "أَلِهَذَا حَجٌّ؟" قَالَ: "نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ". [رواه مسلم].

وعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: "من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم". قالت: "فكُنَّا نصومه بعدُ ونُصَوِّم صبياننا، ونجعل اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام، أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار" (رواه البخاري).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "جَمَعْتُ الْمُحْكَمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا الْمُحْكَمُ؟ قَالَ: "الْمُفَصَّلُ".

رواه البخاري في صحيحه، وبوب له: "بَاب تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ الْقُرْآنَ".

والمفصل من القرآن: من سورة {ق}، إلى سورة الناس.

ولما كان الطفل غير مدرك لأهمية العبادات، ولا فاهم لدورها في حياته؛ فينبغي على الأم أن تحببها إلى نفسه وتهونها عليه، بالوسائل المناسبة..

ومن المهم أن تشجعه بالهدية ونحوها، وتربط فعله للعبادات بمحبوباته، مع تنبيهه على ضرورة الإخلاص لله فيها.

أحكام تختص بالمرأة: أحكام المستحاضة

تحدثنا في العدد السابق عن الاستحاضة من حيث تعريفها وتمييزها، ونُبيِّن في هذا المقال أحكام المستحاضة:

– **تغتسل بعد انقطاع الحيض**: لقوله عليه الصلاة والسلام للمستحاضة: "...واغتسلي..". [صحيح أبي داود].

– **تغسل فرجها قبل الوضوء**: لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة الثابت في الصحيح: "فاغسلي عنك الدم وصلي".

– **تجعل في المخرج قطنا ونحوه، يمنع الخارج**:

عن حمنة بنت جحش قالت: كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستفتيه وأخبره، فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش، فقلت: "يا رسول الله إني امرأة أستحاض حيضة كثيرة شديدة فما ترى فيها؟ قد منعتني الصلاة والصوم". فقال: "أنعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم..". [صحيح أبي داود].

والكرسف: القطن، ويمكنها استعمال الحفائظ الطبية الموجودة الآن.

– **تتوضأ لكل صلاة وجوبا**:

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إن فاطمة بنت أبي حبيش جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ قال: "إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، فإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت ثم صلي". [رواه البخاري].

قال العلامة محمود خطاب السبكي -رحمه الله-:

"أي: لوقت كل صلاة؛ فاللام للتوقيت كما في قوله تعالى: {أقم الصلاة لدلوك الشمس} وبه أخذ أبو حنيفة وأحمد، أن المستحاضة ومن في معناها يتوضآن لوقت كل صلاة، فيصلين في ذلك الوقت ما شئن من الفرائض والنوافل، فإذا خرج الوقت بطل وضوءهن"[1].

قلت: ويؤيده قوله: صلى الله عليه وسلم "إن للصلاة أولا وآخرا"[2]. أي أن لوقت الصلاة أولا وآخرا، كما بينه قوله بعد ذلك: "إن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس، وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر".

قال العلامة الصنعاني: "لَيْسَ لَهَا الْوُضُوءُ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، إذْ طَهَارَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ، فَلَيْسَ لَهَا تَقْدِيمُهَا قَبْلَ وَقْتِ الْحَاجَةِ".

-**ويستحب لها أن تجمع بين الصلاتين**؛ فتؤخر الأولى إلى آخر وقتها، وتقدم الثانية في أول وقتها:

والدليل: تتمة حديث حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ؛ قَالَتْ .. :فَقَالَ: "إِنَّمَا هِيَ رَكْضَةٌ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَتَحَيَّضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ، أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ اغْتَسِلِي، فَإِذَا اسْتَنْقَأْتِ فَصَلِّي أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ، وَصُومِي وَصَلِّي، فَإِنَّ ذَلِكِ يُجْزِئُكِ، وَكَذَلِكِ فَافْعَلِي كُلَّ شَهْرٍ كَمَا تَحِيضُ النِّسَاءُ، فَإِنْ قَوِيتِ عَلَى أَنْ تُؤَخِّرِي الظُّهْرَ وَتُعَجِّلِي الْعَصْرَ، ثُمَّ تَغْتَسِلِي حِينَ تَطْهُرِينَ، وَتُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ تُؤَخِّرِينَ الْمَغْرِبَ وَتُعَجِّلِينَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ تَغْتَسِلِينَ وَتَجْمَعِينَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فَافْعَلِي وَتَغْتَسِلِينَ مَعَ الصُّبْحِ وَتُصَلِّينَ. قَالَ: وَهُوَ أَعْجَبُ الْأَمْرَيْنِ إِلَيَّ". [رواه التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ].

قال الصنعاني: "وَقَوْلُهُ: 'وَتُعَجِّلِي الْعَصْرَ'؛ يُرِيدُ أَنْ تُؤَخِّرِي الظُّهْرَ: أَيْ فَتَأْتِي بِهَا فِي آخِرِ وَقْتِهَا، قَبْلَ خُرُوجِهِ، وَتُعَجِّلِي الْعَصْرَ، فَتَأْتِي بِهِ فِي أَوَّلِ وَقْتِهِ، فَتَكُونُ قَدْ أَتَتْ بِكُلِّ صَلَاةٍ فِي وَقْتِهَا وَجَمَعَتْ بَيْنَهُمَا".

– **فإن اغتسلت لكل صلاة فهو أكمل** كما كانت تفعل حمنة رضي الله عنها.

قال أبو الطيب: "ولم يأت في شئ من الأحاديث الصحيحة إيجاب الغسل لكل صلاة ولا لكل صلاتين ولا في كل يوم بل الذي صح إيجاب الغسل عند انقضاء وقت حيضها المعتاد أو عند انقضاء ما يقوم مقام العادة من التمييز بالقرائن، وأما ما في صحيح مسلم؛ أن أم حبيبة كانت تغتسل لكل صلاة؛ فلا حجة في ذلك لأنها فعلته من جهة نفسها ولم يأمرها النبي صلى الله وسلم عليه بذلك، وقد ورد الغسل لكل صلاة من طرق لا تقوم بمثلها الحجة لا سيما مع معارضتها لما ثبت في الصحيح، ومع ما في ذلك من المشقة العظيمة على النساء، والشريعة سمحة سهلة، وما جعل عليكم في الدين من حرج   واتقوا الله ما استطعتم".

وقال العلامة ابن تيمية:

"وأما الحديث الثاني فليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تغتسل لكل صلاة، ولكن أمرها بالغسل مطلقا، فكانت هي تغتسل لكل صلاة، والغسل لكل صلاة مستحب ليس بواجب عند الأئمة الأربعة وغيرهم؛ إذا قعدت أياما معلومة هي أيام الحيض ثم اغتسلت كما تغتسل من انقطع حيضها، ثم صلت وصامت في هذه الاستحاضة. بل الواجب عليها أن تتوضأ عند كل صلاة من الصلوات الخمس عند الجمهور كأبي حنيفة والشافعي وأحمد، وأما مالك فعنده ليس عليها وضوء ولا غسل؛ فإن دم الاستحاضة لا ينقض الوضوء عنده لا هو ولا غيره من النادرات، وقد احتج الأكثرون بما في الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المستحاضة أن تتوضأ لكل صلاة".[مجموع الفتاوى].

– **وفيما عدا ذلك؛ لها حكم الطاهرة.**

والله تعالى أعلى وأعلم .

---

[1]: المنهل العذب المورود في شرح سنن أبي داود(105/3) .

[2]: سلسلة الأحاديث الصحيحة (1696).

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

أمة الرحمن لا تخضعي بالقول

قال الحق جل في علاه: "**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا**" الأحزاب.

قال السعدي رحمه الله في التفسير:

"يقول تعالى: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ" خطاب لهن كلهن "لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ" اللّه، فإنكن بذلك، تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها.

فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ" أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فَتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع "الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح (فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم اللّه، فإن ذلك لا تكاد تُميِلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض.

بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلِينَ لهم القول.

ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: "وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا" أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بلَيِّنٍ خاضع.

وتأمل كيف قال: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ" ولم يقل: "فلا تَلِنَّ بالقول" وذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلامًا لينًا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح اللّه رسوله باللين، فقال: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ" وقال لموسى وهارون: "اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى".

ودل قوله: "فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض.

فَلْيَجْتَهِدْ في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الرديَّة، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال اللّه العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

بداية السفور في العالم الإسلامي.. المرأة الألبانية

سليمان بن صالح

عاشت ألبانيا إسلامها في ظل الدولة العثمانية، وكانت المرأة الألبانية كأختها المسلمة، تلتزم الحجاب الشرعي، وتستر وجهها عن الأجانب، إلى أن تآمر الأعداء على ألبانيا بسقوط الدولة العثمانية، فوقعت ألبانيا بأيدي الاستعمار، الذي ووجه بصمود من أهلها وتمسك بالدين، فما كان من المستعمرين إلا أن أورثوا البلاد أحد "عملائهم" ليقوم بمهمة محاربة شرائع الإسلام -ومنها الحجاب- نيابة عنهم.

فقد تولى "أحمد زوغو" عرش ألبانيا في سنة 1347هـ/1928م، وكان رئيس جمهورية، إلا أن الغرب حثه، كما يقول د. رجب بويا: "على تحويل ألبانيا من الجمهورية إلى الملكية، كي يبقى في الحكم مدى الحياة، وقد أعجبه ذلك، فأمر بتحويلها إلى الملكية سنة 1928م وأعلن نفسه ملكًا عليها". انظر "الألبانيون والإسلام، ص:73".

وكان "أحمد زوغو" كما يقول المؤرخ محمود شاكر "..ملكًا سيئًا، حاول تغيير العادات ومسايرة الدول الأوربية، ففرض السفور على نساء وطنه، مما اضطر عددًا من المواطنين إلى مغادرة البلاد والاتجاه نحو بقية البلاد الإسلامية" انظر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية، ص :118.

> **ففي سنة 1356هـ/1937م أصدر "أحمد زوغو" قراراً بنـزع نقاب المرأة المسلمة، وإلزام موظفي الدولة، وطلاب المدرسة الثانوية بلبس البرنيطة، وقد عارضه العلماء في ذلك معارضة شديدة، وتصدوا لأفكاره، وقراراته غير الإسلامية،**

ففي سنة 1356هـ/1937م أصدر "أحمد زوغو" قراراً بنـزع نقاب المرأة المسلمة، وإلزام موظفي الدولة، وطلاب المدرسة الثانوية بلبس البرنيطة، وقد عارضه العلماء في ذلك معارضة شديدة، وتصدوا لأفكاره، وقراراته غير الإسلامية، فعمل من جانبه على إسكات صوت الحق، وإخراس الألسن التي تصدت لأفكاره الملحدة، فاضطهد العلماء، وصب جام غضبه عليهم، مما جعل البعض منهم يفرُّ من هذا الظلم والطغيان، تاركاً وطنه، ويذهب بنفسه وآله إلى البلاد الإسلامية الأخرى.

لقد كانت نهاية "زوغو" عبرة للمعتبرين، لأنه فرَّ من بلاده بسبب أن الغرب انقلب عليه! يقول صاحب كتاب " ألبانيا بلد النسور" ص:18-17: "لقد خان زوغو شعبه ليخدم الاستعمار.. فخانه الاستعمار وطرده".

يقول الدكتور سيد محمد يونس: "بعد الحرب العالمية الثانية (1358-1363هـ)/(1939-1944م) حكم الشيوعيون البلاد الإسلامية التي وقعت تحت سيطرتهم بالحديد والنار، واستعملوا الشدة والقسوة في معاملة هذه الشعوب، وحرموهم من خيرات بلادهم، واستصفوها لأنفسهم، ومنعوهم من مباشرة شعائرهم الدينية. وفي ألبانيا حالوا بشتى الطرق وكافة الوسائل القضاء على المسلمين فيها، والتضييق عليهم في الأرزاق، ولم يكتفوا بذلك، بل ألغوا المناهج الإسلامية التي تدرس في المدارس، والمعاهد العلمية، وفرضوا عليها رقابة مشددة وصارمة على المؤسسات العلمية والمدرسين، وذلك بقصد القضاء على الإسلام وتخريج خريجين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام سوى اسمه. ولم تسلم منهم البيوت، فقاموا بهدم كثير من دور ومنازل المسلمين، وكذلك أفسدوا الحرث والنسل، وعاثوا في الأرض فساداً، وهدموا المساجد، التي يذكر فيها اسم الله تعالى، كما أطاحوا بالقيادة الشرعية للمسلمين، بإلغاء منصب "المفتي الأعظم" في العاصمة "تيرانا"، وكذلك مجلس العلماء الذين كانوا يؤدون رسالتهم بجد ونشاط، في أنحاء العالم، عن طريقه.

وفي سنة 1398هـ/1977م أصدرت الحكومة الشيوعية قراراً بمنع كافة الأنشطة الدينية في جميع البلاد.

وكذلك دعت إلى سياسة الاختلاط بين الرجال والنساء في العمل، وفي الحفلات، ورغّبت النساء في السفور، كما أرغم الشيوعيون المسلمين في الجيش وكتائب العمل على أكل لحم الخنزير. واعتقلت علماء الإسلام، وزجت بهم في غياهب سجون، لتقضي على صوت الإسلام في البلاد.

بعد أن سقطت الشيوعية، وذهبت إلى غير رجعة، تنفس المسلمون الألبانيون -وغيرهم من الذين كانوا تحت نير الحكم الشيوعي الفاسد- الصعداء، ونعموا بالراحة، بعد طول عناء، وكبت وإرهاق وشقاء، فعملوا على النهوض بمرافق البلاد، والأخذ بيدها نحو التحضر والرقي.

وأولى الألبانيون عنايتهم إلى إقامة بعض المساجد التي تهدمت، ففي "أشقودرة" أعيد الآن فتح مسجدين، و(23) مسجداً في (23) قرية، وبدئ في بعضها تدريس مبادئ الإسلام لأولاد المسلمين. وعلى الرغم من انطلاق الشعب الألباني نحو التقدم والرقي بخطى سريعة إلا أنهم في حاجة إلى مساعدة إخوانهم المسلمين" . (الإسلام والمسلمون في ألبانيا ص:100-89).

فائدة : كانت عائلة الشيخ الألباني -رحمه الله- ممن فرَّ من ظلم أحمد زوغو، وقد تعرض له الشيخ في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: 3203) عند حديث: "ستكون هجرة بعد هجرة.." قائلا: "في الحديث بشرى لنا آل الوالد الذي هاجر بأهله من بلده "أشقودرة" عاصمة ألبانيا يومئذ، فرارًا بالدين من ثورة أحمد زوغو، أزاغ الله قلبه، الذي بدأ يسير في المسلمين الألبان مسيرة سلفه أتاتورك في تركيا..

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

لماذا اخترنا الملف؟

تفخر الدول بعلمائها وتوليهم جل اهتماماتها، ترعاهم وذويهم تغدق عليهم وتحقق مطالبهم، تعمل على استقطاب كل ذي علم ومعرفة، تصنع العقول وتطور الحقول وتمضي نحو غمار العلم لتصنع التاريخ ولتسيطر على مجرياته.

أما نحن فجعلنا من عقولنا وعلماءنا طيورا مهاجرة، بل قد لا يجد العالم في بلده الأمن والأمان أو حتى السؤال عن الحال.

أظهرت دراسة حديثة أن هجرة العقول العربية تكلف العالم العربي أكثر من مائتي مليار دولار، ويبلغ الإنفاق على البحث العلمي والتقني في الوطن العربي درجة متدنية مقارنة ببقية دول العالم حيث لا يتجاوز الإنفاق السنوي للدول العربية على البحث العلمي 0.2 % من إجمالي الموازنات العربية، في حين تبلغ هذه النسبة في أمريكا 3.6 % وفي الكيان الصهيوني 2.6%.

مما يدفع الطالب المجتهد النجيب للتوجه إلى الغرب لتعلُّم المزيد وتكون النتيجة إما أن تقطف ثمرة نجاحه في أرض غير أرضه، أو أن يقبع في السجون أو أن يرجع مخبولا مجنونا، أو أن يعود عدوا لدينه ووطنه.

ومن كان مخلصا لدينه بارا بأمته فسيكون دمه مهدرا مستباح الحمى من أعداء الأمة.

وها هم العلماء العراقيون يتعرضون لسياسة ثابتة قوامها التصفيات الجسدية والمعاملات التعسفية، التي دفعت بالعديد منهم إلى ترك وطنهم واللجوء إلى دول أخرى، ما يتسبب بخسارة فادحة للمجتمع العلمي العراقي خصوصا والإسلامي والعربي عموما.

العلماء العراقيون، والذين يُقدَّرون وفقًا لإحصاءات أمريكية بالآلاف، منهم خمسمائة عالم تعتبرهم المخابرات الأمريكية والصهيونية نخبة علماء العراق المقربين من "صدام"، والذين شاركوا بشكل كبيرٍ في بناء برنامج التسلح العراقي، الأمر الذي كان بمثابة رعبٍ شديد للكيان الصهيوني إلى حين سقوط بغداد، وتتضافر تقارير عالمية لتؤكد وجود فرقة مكونة من مائة وخمسين عنصراً من "الكوماندوز الإسرائيلي" مهمتها متابعة العلماء المرصودين وتصفيتهم، وهناك تقارير متعددة حول عمليات التصفية التي تمت إلى الآن، وتصل وفق بعض المصادر إلى أكثر من 300 عالم.

وذكرت صحيفة "يديعوت أحرنوت" "الإسرائيلية" مؤخرا أن رئيس الوزراء الصهيوني "إيهود أولمرت" قدم للرئيس الأمريكي "جورج بوش" خلال لقائهما في 13 نوفمبر الماضي في واشنطن، كتابا حول الغارة الصهيونية على مفاعل تموز النووي العراقي.

وأوضحت الصحيفة أن الكتاب وهو بعنوان "تموز يشتعل" للصحافي "شلومو نكديمون" يروي بدقة متناهية تفاصيل المحادثات الأمريكية الصهيونية التي سبقت قصف الطيران الحربي الصهيوني لمفاعل تموز قرب بغداد في 30 شتنبر 1980، يذكر أن ثماني طائرات "إف-16" وست طائرات "إف-15" شاركت في الغارة.

لن أطيل في الحديث فالخطاب ممهور بدماء علماء المسلمين المهدرة، وحتى نبين كيف تغتال الأمة في علماءها وعقولها وقدراتها التي لها القدرة والكفاءة على الرفع من شأنها، أعددنا هذا الملف لتسليط الضوء على الإرهاب الفكري والجسدي الذي يتعرض له علماء المسلمين على يد من يدَّعون الحضارة ويصفوننا بالرجعية والتخلف.

نزيف العقول في الوطن العربي لا يزال مستمراً!

في الوطن العربي..لا احترام للعلم والعلماء ولا تتوافر البيئة المناسبة للبحث العلمي والإبداع

الملف من إعداد: نبيل غزال

أظهرت دراسة حديثة أن هجرة العقول العربية تكلف العالم العربي أكثر من مائتي مليار دولار، وأن الدول الغربية هي الرابح الأكبر من هجرة ما لا يقل عن (450.000) أربعمائة وخمسين ألفاً من هذه العقول، كما أكدت الدراسة أن المجتمعات العربية أصبحت بيئات طاردة للكفاءات العلمية العربية وليست جاذبة لها، وذلك بما تفرضه من قوانين وأنظمة مقيدة لهذه العقول، الأمر الذي أدى إلى استفحال هذه الظاهرة.

وأوضحت الدراسة أن 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم وأن 34% من الأطباء الأكفاء في بريطانيا هم من العرب، مضيفة أن هناك نحواً من 75% من الكفاءات العلمية العربية مهاجرة بالفعل إلى ثلاث دول تحديداً هي أمريكا وبريطانيا وكندا.

وبينت الدراسة أن مستوى الإنفاق على البحث العلمي والتقني في الوطن العربي يبلغ درجة متدنية مقارنة ببقية دول العالم حيث لا يتجاوز الإنفاق السنوي للدول العربية على البحث العلمي0.2 % من إجمالي الموازنات العربية.

وتأتي هذه النسبة في حين تبلغ في الكيان الصهيوني 2.6 % بينما في أمريكا 3.6 % والسويد 3.8 % وسويسرا واليابان 2.7 % وفرنسا والدنمارك 2%، كما أكدت الدراسة أن ضعف الاهتمام بالعلم والبحث العلمي يعد أحد العوامل المركزية في الضعف الاستراتيجي العربي في مواجهة الكيان الصهيوني وأحد الأسباب الرئيسة وراء إخفاق مشاريع النهضة العربية.

"مجلة الجزيرة" استطلعت الآراء ووجهات النظرة المتعددة للوقوف على حقيقة هذه القضية ومناقشة أهم سلبياتها وتداعياتها ووضع الحلول والتوصيات التي من شأنها معالجة هذه القضية التي تمس الأمن العربي.

بداية نعرض رأي الدكتور فاروق الباز وهو من كبار العقول العربية التي هاجرت من مصر منذ ستينيات القرن الماضي، الذي يشغل حالياً منصب مدير مركز الاستشعار عن بعد في جامعة "بوسطن" بعدما عمل لسنوات طويلة مع وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" في مشاريع استكشاف القمر والفضاء يقول:

"إن لكل عالم وخبير عربي أسبابه الخاصة التي دفعته إلى الهجرة وهذه تضاف إلى الأسباب العامة المشتركة في الوطن العربي، حيث لا احترام للعلم والعلماء ولا تتوافر البيئة المناسبة للبحث العلمي والإبداع وبالتالي فمن الطبيعي أن يبحث العالم العربي وطالب المعرفة عن المكان الذي توجد فيه شعلة الحضارة، إذ عندما كان العالم العربي يحمل شعلة الحضارة قبل مئات السنين كان يأتيه المفكرون والخبرات والعقول من كل حدب وصوب، وبما أن شعلة الحضارة انتقلت إلى الغرب فمن الطبيعي أن يهاجر الخبراء والعلماء إلى المراكز التي تحتضن هذه الشعلة".

أما الدكتور إبراهيم قويدر المدير العام لمنظمة العمل العربية يشير إلى تقرير أعدته المنظمة حول هذه القضية جاء فيه أن عدد حملة الشهادات العليا العرب المهاجرين إلى أمريكا وأوربا يبلغ 450 ألف عربي، مما يعنى أن الولايات المتحدة ودول غرب أوربا توفر مليارات الدولارات نتيجة لهجرة العقول والمهارات، إذ لم تتعب هذه الدول لتنشئة وتدريب هذه العقول ولم تنفق عليها، بينما تحمل الوطن العربي تكلفة تنشئتها، وهكذا يذهب إنتاج هذه العقول الجاهزة ليصب مباشرة في إثراء البلدان المتقدمة ودفع مسيرة التقدم والتنمية فيها، بينما يخسر الوطن العربي ما أنفقه من أموال ويخسر فرص النهوض التنموي والاقتصادي التي كان يمكن أن تسهم هذه العقول في إيجادها.

كما أن عدداً من الدول العربية كـ (الكويت) و(العراق) و(ليبيا) وضعت برامج وخطط وافتتحت مراكز للبحث العلمي لتشجيع العقول العربية المهاجرة على العودة، إلا أنها لم تنجح إلا في استقطاب القليل من الخبرات، نظراً لعدم شمولية المعالجة وعدم النجاح في إيجاد بيئة علمية مستقرة، بل إن بعض المصادر تشير إلى أن بلداً كالعراق هاجر منه 7350 عالماً في مختلف المجالات ما بين عامي 1991 و1998 نتيجة الأوضاع التي كانت سائدة في العراق وظروف الحصار الدولي الغاشم التي طالت الجوانب العلمية.

إمبراطورية العقول المستوردة

الباحث عبد الجواد علي يضرب مثالاً بالقائمين على منطقة "وادي السيليكون" المتخصصة بالصناعات الإلكترونية الذين تقدموا للـ"كونجرس" بطلب توسيع برنامج منح الهجرة للعَمالة الماهرة ليستقروا في الولايات المتحدة.

وهذا الواقع يجعل الكثيرين يطلقون على الولايات المتحدة الأمريكية (إمبراطورية العقول المستوردة) التي لم يقتصر استيرادها من دول العالم الثالث، بل إن عدداً من الدول الأوربية وكندا واستراليا يعانون أيضاً من هجرة العقول باتجاه الشركات والجامعات الأمريكية ومعاهدها ومراكز الأبحاث المختلفة.

القرن المالي

ويستطرد عبد الجواد: الأخطر من كل هذا النتيجة التي أعلنها "ديفين برينر" الأستاذ في دراسات الأعمال في جامعة "ماكجيل" الكندية التي ذكرها في كتابه (القرن المالي) إذ يقول:

"في ظل اقتصاد العولمة سيذهب البشر والأموال إلى حيث يمكنهم أن يكونوا مفيدين ومستفيدين، ففي

العدد 22، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

كل عام يغادر ما يقدر عددهم بنحو 1.8 مليون من المتعلمين ذوي المهارات والخبرات في العالم الإسلامي إلى الغرب.

وإذا افترضنا أن تعليم أحد هؤلاء المهاجرين يكلف في المتوسط عشرة آلاف دولار فإن ذلك يعني تحويل 18 مليار دولار من الأقطار الإسلامية إلى الولايات المتحدة وأوربا كل عام!".

يختتم عبد الجواد حديثه بقوله: وإذا تراكم هذا المبلغ نظرياً على مدى عدة سنوات فسيصبح مفهوماً أكثر لماذا تزداد الأقطارُ الغنيةُ غنىً والفقيرة فقراً.

فقر الإمكانيات

وعن أثر العوامل الاقتصادية لهجرة الكفاءات أكد الدكتور سعد حافظ أستاذ الاقتصاد بـ"معهد التخطيط القومي" أن وراء الهجرات عوامل سواء أكانت داخلية أو خارجية، أهمها: الفقر حيث لا يقتصر على مفهوم واحد ولكنه يمتد ليشمل فقر الإمكانات والقدرات الذي يعكس نقص الخدمات الأساسية، انخفاض مستوى المعيشة ونوعية الحياة معاً، ويرتبط الفقر بهذا المعنى بنقص التشغيل والبطالة والتهميش وضعف أو انعدام فرص الحراك الاجتماعي.

آثار سلبية

تفرز هجرة العقول العربية إلى البلدان الغربية عدة آثار سلبية على واقع التنمية في الوطن العربي، وفي هذا السياق يقول الدكتور السيد عبد الستار المليجي الأمين العام لنقابة العلميين: "لا تقتصر هذه الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية فحسب، ولكنها تمتد أيضاً إلى التعليم في الوطن العربي وإمكانات توظيف خريجيه في بناء وتطوير قاعدة تقنية عربية، ومن أهم المنعكسات السلبية لنزيف العقول:

أولاً: ضياع الجهود والطاقات الإنتاجية والعلمية لهذه العقول التي تصب في شرايين الغرب بينما تحتاج التنمية العربية لمثل هذه العقول في مجالات الاقتصاد والتعليم والصحة والتخطيط والبحث العلمي.

ثانياً: تبديد الموارد الإنسانية والمالية العربية التي أنفقت في تعليم وتدريب الكفاءات التي تحصل عليها البلدان الغربية دون مقابل.

ثالثاً: ضعف وتدهور الإنتاج العلمي والبحثي في البلدان العربية بالمقارنة مع الإنتاج العلمي للعرب المهاجرين في الغرب.

"البلدان العربية تتحمل بسبب هذه الهجرة خسارة مزدوجة لضياع ما أنفقته من أموال وجهود في تعليم وإعداد الكفاءات العربية المهاجرة، ومواجهة نقص الكفاءات وسوء استغلالها والإفادة منها عن طريق استيراد العقول الغربية بتكلفة كبيرة".

نحو إستراتيجية عربية

وللحد من هذه الظاهرة التي تكبد العرب خسائر اقتصادية جمة يطالب د. سيد عبد الستار المليجي بوضع استراتيجية عربية متكاملة، كما طالب بتفعيل الدعوة التي طالب بها الشيخ حميد بن المعلا وزير التخطيط بدولة الإمارات حيث طالب الأخير أن تتبنى الجامعة العربية الدعوة إلى إنشاء صندوق باسم: "صندوق دعم الكفاءات العربية" يؤطر لإنشاء كيان من خلال الجامعة يتم فيه تسجيل كل الكفاءات العربية النادرة من العلماء والتقنين في الخارج، وربطهم من خلال شبكة اتصال بالجامعة العربية بهدف دعم جهودهم وتشجيع ربطهم بالوطن الأم بما يكفل في نهاية المطاف عودة هذه العقول المهاجرة لخدمة المجتمع العربي.

تشديد الرقابة في الدول الغربية على بعض التخصصات التي يدرسها الطلاب المسلمون

ورد في تصريح لمسؤول في الخارجية البريطانية يقول فيه أن سلطات بلاده تراجع الإجراءات المتعلقة بدراسة الطلبة الأجانب للمواد الحساسة في الجامعات البريطانية، والمقصود بـ"المواد الحساسة": الهندسة النووية وتكنولوجيا الصواريخ، والدفع النفاث والتقنيات الكيميائية والجرثومية، الذي يمكن أن تستفيد منهـا "الدول الخطيرة"!

هذا التصريح الذي أوردته صحيفة الشرق الأوسط يأتي كجزء من الحصار العلمي والتقني الموجة ضد دول عربية مهمة في المنطقة تهتم بالتسلح النووي، وهو لا يختلف في هدفه النهائي عن القانون الشهير الذي أقره مجلس النواب الأمريكي عام 2002 بخصوص حظر أو تشديد الرقابة على بعض التخصصات التي يدرسها طلاب سبع دول أجنبية، أربع منها عربية!



ويعد هذا القانون تأصيلا للمهام المناطة بـ (لجنة المتابعة الأكاديمية) التي تم إنشائها بعد تفجيرات "نيويورك" لمنع طلاب بعض الدول من دراسة التخصصات الحساسة مثل تكنولوجيا الصواريخ والفيزياء الذرية، وأنظمة التوجيه وأشعة الليزر، والسبائك المتقدمة.. حتى أن أحد الطلاب العرب الذين يدرسون بالجامعة نفسها صرح: "بأنه أصبح من المعتاد أن يطُلب من بعض الطلاب الأجانب مغادرة القاعة أو المختبر حين يتعلق الأمر بالتقنيات العسكرية الرائدة!".

وغني عن القول أن الحكومات الغربية تحاول (من خلال هذا الحصار الأكاديمي) الحد من تسرب العلوم والتقنيات المتقدمة إلى "الدول المارقة" ومنها الدول الإسلامية حسب مفهومها، وهي بهذا القانون "تقنن" عادة قديمة بدأت مع قيام الثورة الكوبية حين منعت أمريكا الطلاب الكوبيين من دراسة التخصصات العسكرية الحساسة، كما تكررت نفس المعاملة مع الطلبة الليبيين حين سَرَت في الثمانينات "حمى القذافي" وسعيه لامتلاك قنبلة نووية، ثم توسعت القائمة بعد ذلك لتشمل طلبة إيران وكوريا الشمالية ولبنان وسوريا..

وكانت واشنطن قد تطوعت (بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في أوائل التسعينات) بدفع رواتب علماء الذرة الروس خوفا من هجرتهم إلى الدول العربية، كما حرصت على شراء التقنيات الروسية المنسية أو المجمدة خوفا من تسربها إلى دول المنطقة.

المعضلة الكبرى -التي تقع فيها بعض هذه الدول- هي حين يتفوق أحد الطلاب المسلمين رغم كل عوامل الحصار الأكاديمي.. فحين تتأكد من تفوق أحد هؤلاء تأمل أولا أن يتكفل مجتمعها المترف بإقناعه بالبقاء، ثم تتدخل بطريقة غير مباشرة لدعوته للعمل في إحدى المؤسسات الحكومية أو الشركات المتعاقدة مع وزارة الدفاع، أما الخطوة الثالثة فقد تتضمن اتخاذ إجراءات استثنائية قاسية لمنع عودته إلى بلاده نهائيا.

فحسب نظرية المؤامرة يتم سجن أو اغتيال كل من يرفض البقاء بحيث يبدو الأمر كحادث عرضي، وحتى اليوم ما تزال مصر تتذكر بأسى اغتيال عالمة الذرة سميرة موسى التي نالت درجة الدكتوراه في الفيزياء الذرية واغتيلت بسبب إصرارها على العودة لمصر، وقيدت القضية ضد مجهول، ونفس المأساة تكررت مع عالم عربي آخر يدعى سمير نجيب كان متفوقاً في علوم الذرة وعمل في أمريكا لفترة طويلة قبل أن يقرر العودة فجأة، فاغتيل قبل سفره بيوم واحد، وهناك أيضا عالم الفيزياء سعيد بدير الذي رفض البقاء في ألمانيا وأمريكا فألقي من شرفة منزله من قبل رجل مجهول، بعد وصوله للإسكندرية بيومين فقط.

وهنا نتذكر ما حدث ويحدث للطلبة المسلمين ولسنا نعتقد أن آخرهم طالب الدكتوراه السعودي "حميدان التركي" الذي مازال قابعا في سجون أمريكا لتميزه، وكيف لفقت له اتهامات واهية ليحكم عليه بالسجن مدى الحياة ما لم يعترف بالاتهامات الموجهة إليه، ليكتف بـ 25 سنة فقط.

وسواء صدقنا فرضية قتل النوابغ أم لا، المؤكد حاليا ظهور توجه رسمي في بريطانيا وأمريكا والغرب عموما لمنع تصدير العلوم الحساسة لدول تراها زإرهابيةس أو غير جديرة بالثقة !

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

مكانة العلم والعلماء في شريعتنا السمحاء

"لا يمكن أن نجد دينًا يحتل العلم والمعرفة فيه محلاً بارزًا كما كان الأمر في الإسلام" (كونستان جيورجيو)

لقد دعا الإسلام إلى طلب العلم عامة، بل في بعض الآثار عند ابن ماجه، وغيره عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**".

وفضّل الإسلام العالم على الجاهل قال تعالى: "**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**" (الزمر).

وفي القرآن ما يقارب سبعمائة وخمسين آية تحث وتدعو إلى إعمال الفكر في هذا الكون، وما فيه من مخلوقات مسخرة للإنسان، هذا الكون الذي هو ميدان العلوم الطبيعية.

قال تعالى: "**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**" (البقرة).

وقال تعالى: "**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**" (آل عمران).

وأول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (**اقرأ**)، ولهذا قال العلماء: العلم أول واجب على المكلفين، وأوله العلم بالله ودينه وآياته، ولكن يدخل كل علم نافع من باب أن أول خطوة في أي ميدان هي العلم به، فكيف طاب لأمة (**اقرأ**) أن تضل في مهامه الجهل وأوديته، وأن تقعد عن المسابقة والسجال حين تقدمت أمم الأرض كلها في مضمار العلوم دون أن يكون لها تراث يحثها أو دين يحرضها؟!

وأي جسر يمكن أن يقام بين نصوص الشرع المطهر وبين الواقع الفاسد المليء بالجهالات والمفاهيم الخاطئة في حياة الأمة وعقولها؟!

فحق الإنسان أن لا يترك علماً من العلوم الدينية أو الدنيوية أمكنه النظر فيها واتسع العمر لها، إلا ويجد في تحصيلها واكتسابها خدمة لنفسه ودينه وأمته وهذا مقتضى وسطية الإسلام الذي وازن بين الدنيا والآخرة، بين المادة والروح.

العلم الدنيوي المادي

إن دراسة العلوم الدنيوية والتقنية من الأهمية بمكان لرقي الأمم والمجتمعات، فأمتنا بحاجة ماسّة لذلك، ولا يخفى على ذي بصيرة ما نعانيه من ضعف وتردٍ في هذه الناحية، وقد اعتنى الإسلام بهذا اللون من العلوم وذكره الله تعالى في أكثر من موضع في القرآن، قال تعالى: "**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**" (هود)، أي: جعلكم ساكنيها، مدة أعماركم، وجعلكم عمّارها، وكيف يعمر الإنسان الأرض وهو لا يعرف ما يصلح حياته، وما يفسدها؟!

وفي آية أخرى: "**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**" (الجمعة)، أي بالتجارة والتثمير والاقتصاد.

وقال: "**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**" (الملك)، وفي هذا إيماء للزرع واستغلال الأرض والسعي في الرزق والسير في الفجاج وتسهيل الاتصال، وفي المسند بسند صحيح مرفوعًا: "**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**".

فأمة هذا دينها وهذه نصوصها كيف يطيب لها أن تظل في عماية الجهالة بينما تقفز للصدارة أمم لا تراث لها ولا نص يحفزها؟! إن هذا لشيء عجاب!

فأمم الغرب تصل الليل بالنهار في تطوير علومها وآلياتها والاستفادة منها، للهيمنة على من حولها وما حولها، ونحن نعيش حالة من التبعية يرثى لها! خاصة في علوم كالطب، والهندسة، والصناعة وغيرها..

ومن أغرب صور تبعيتنا مثلاً: نظرية (دارون) الملحدة في النشوء والارتقاء، والتي عفا عليها الزمن، ومع ذلك ما زالت تدرس في كثير من بلدان المسلمين على أنها من الحقائق العلمية! ولا سبيل لاستدراك ذلك إلا بالاعتصام بالله عز وجل أولاً، ثم بالتقدم في مثل هذه العلوم، والتبحر في مسالكها، والإبداع فيها.

فعصرنا عصر قوة، والقوي هو الذي يفرض نظمه وثقافته، ويُلزم بها غيره!

> **قال الشافعي: "لا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلاّ أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه".**

ولقد قرر الأئمة كالشاطبي وغيره، وحكا بعض الأصوليين الإجماع على أن الإسلام جاء للمحافظة على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل.

وهذه الضرورات لا تتم المحافظة عليها إلا بامتلاك ناصية العلم المادي البشري الصحيح، وحسن توظيفه لحراسة الدين، وسعادة الدنيا.

فالطب مثلاً هو سبيل حفظ البدن من الأمراض، ولذلك قدر علماء السلف مهنة الطب حق قدرها!

فنسب إلى الشافعي قوله: "إنما العلم علمان: علم الدين، وعلم الدنيا، فالعلم الذي للدين هو الفقه، والعلم الذي للدنيا هو الطب".

وفي رواية ثانية عنه، قال: "لا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلاّ أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه".

وفي رواية ثالثة عنه أنه كان يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: "ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى" (آداب الشافعي ومناقبه للرازي).

المسلمون والإبداع المادي

إن حيازة مراتب الرقي والتقدم في مثل هذه العلوم لن ينال إلا بالأخذ بالأسباب الشرعية والكونية، فكثير من صور تخلفنا وانهزامنا إنما هو نابع من تأخرنا في المجال العلمي، وقلة الوعي، وعدم إدراك العلاقة الصحيحة بين الأسباب والنتائج، وقد حفل تاريخ المسلمين بألوان من الإبداع العلمي والإنجاز الحضاري الذي ورث منتج الأمم السابقة ورعاه وطوّره وحاول إحكام الهدف الأخلاقي من ورائه، وشكّل العلم الإسلامي حلقة بالغة الأهمية في مسيرة الحضارة الإنسانية، وعرف المسلمون أسماء كثيرة لامعة في مجال العلوم المادية، كانت محل حفاوة الأمة جميعًا وحتى مؤرخو الغرب يدينون بذلك.

يقول "كونستان جيورجيو": "لا يمكن أن نجد دينًا يحتل العلم والمعرفة فيه محلاً بارزاً كما كان الأمر في الإســلام".

ويقول المؤرخ الإنجليزي "ويلز": "كل دين لا يسير مع المدنية في كل أطوارها، فاضرب به عرض الحائط، وإن الدين الحق الذي وجدته يسير مع المدنية أينما سارت، هو الإسلام.. ومن أراد الدليل فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات ومناهج علمية، وقوانين اجتماعية، فهو كتاب دين وعلم واجتماع وخلق وتاريخ، وإذا طُلبَ مني أن أحدّد معنى الإسلام فإني أحدده بهذه العبارة (الإسلام هو المدنيّة)".

ويقول "جورج سارتون": "المسلمون عباقرة الشرق، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية، تتمثل في أنهم تولّوا كتابة أعظم الدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقًا، مستخدمين اللغة العربية التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري".

وتقول الدكتورة "لويجي رينالدي": "لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا، لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم".

ويقول "روم رولان": "تفرد العلم الإسلامي بأنه لم ينفصل عن الدين قط، والواقع أن الدين كان ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة..".

ويقول "غوستاف لوبون": "إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا.. وإن جامعات الغرب لم تعرف لها موردًا علميًّا سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدّنوا أوربا مادة وعقلاً وأخلاقًا، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه..".

إن حالة الضعف والتأخر العلمي، جعلت المسلمين تبعًا لغيرهم في هذا المضمار، بل أصبحنا في كثير منها عالة عليهم في بعثاتنا العلمية، وفي معلوماتنا وأدوات بحثنا.

كما أننا في كثير من النواحي نجد انفكاكًا في الروابط والتعاون بين المبدعين في العلوم الطبيعية وبين علماء الشريعة، مما صنع هوة سحيقة بين الميدانين، وكأن هذا لا علاقة له بذاك!

والواقع أن العلاقة بين العلوم التقنية والطبيعية وبين علوم الشريعة هي علاقة ترابط وتكامل، فمعطيات العلم الحديث تتلاءم تماما مع ما جاء في القرآن من توجيه نحو إعمار الأرض واستغلالها بكافة نواحيها.

العدد 22 . 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

علماء مسلمون بارزون اغتيلوا في ظروف غامضة
العلماء المسلمون بين التقتيل والتدجين

يحارب الغرب ومعه بنو صهيون العَالم الإسلامي على جبهات مختلفة، فهم إلى جانب نشر الأفكار الإلحادية التي تخرب العقائد والشرائع، يحاولون دوما الحيلولة دون تحقيق المسلمين للأسباب الكونية التي من شأنها أن تخول لمجتمعاتهم الرفاهية والنماء، وبالتالي الاستغناء عن المنتوجات الأمريكية والأوربية التي تكلف اقتصادنا أعباء يستحيل معها تحقيق أي نهضة أو ازدهار.

ومعلوم أن من أهم أسباب القوة المادية أن تكون لدى المجتمع عقول عالمة تسهر على بناء المشاريع الكبرى، وليقين الغرب والصهاينة أن المسلمين متى توفَّر لديهم علماء الدين العاملون وعلماء الدنيا المقتدرون صاروا من القوة بمكان يستحيل معه استمرار استغلالهم واستعمار بلدانهم، لذا ما فتئوا يغتالون كل عالم مسلم يصل إلى درجة العالمية، وممن كان هذا مصيره من العلماء وهم كثر نورد:

العالم د. نبيل أحمد فليفل جثة بعد الاختفاء

نبيل أحمد فليفل عالم ذرة عربي شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية، وأصبح عالمًا في الذرة وهو في الثلاثين من عمره، وكان ينوي الاستمرار في دراسة مادة القرن الواحد والعشرين، وتمكن من القيام بدراساته كاملة، وكان -رحمه الله- يلتهم كل ما تقع عليه يده من كتب الذرة.

وعلى الرغم من أنه كان من مخيم "الأمعري" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التي انهالت عليه -وفي الخفاء وعن طريق الوسطاء- للعمل في الخارج، وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العالمية، وفجأة اختفى الدكتور نبيل، ثم في يوم السبت الموافق 1984/4/28 عثر على جثته في منطقة "بيت عور"، ولم يتم التحقيق في شيء.

الدكتورة سميرة موسى

مر أكثر من 48 عاماً على اغتيال د. سميرة، وما زال حادث مقتلها في أمريكا محاطاً بالغموض. كانت الدكتورة سميرة موسى قد استجابت إلى دعوة للسفر إلى أمريكا في عام 1951 أتيحت لها فرصة إجراء بحوث في معامل جامعة "سان لويس" بولاية "ميسوري" الأمريكية. تلقت عروضاً لكي تبقى في أمريكا لكنها رفضت بقولها: "ينتظرني وطن غالٍ يسمى مصر"، وقبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية في ضواحي "كاليفورنيا" في 15 غشت، وفي طريق "كاليفورنيا" الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقي بها في وادي عميق. قفز سائق السيارة واختفى إلى الأبد، وأوضحت التحريات أنه كان يحمل اسماً مستعاراً، وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها.

كانت تقول لوالدها في رسائلها: "لو كان في مصر معمل مثل المعامل الموجودة هنا كنت أستطيع أن أعمل حاجات كثيرة". ولقد علّق محمد الزيات مستشار مصر الثقافي في واشنطن وقتها أن كلمة "حاجات كثيرة" كانت تعني بها أن في قدرتها اختراع جهاز لتفتيت المعادن الرخيصة إلى ذرات عن طريق التوصيل الحراري للغازات، ومن ثم تصنيع قنبلة ذرية رخيصة التكاليف.

وفي آخر رسالة لها كانت تقول: "لقد استطعت أن أزور المعامل الذرية في أمريكا، وعندما أعود إلى مصر سأقدم لبلادي خدمات جليلة في هذا الميدان، وسأستطيع أن أخدم قضية السلام". حيث كانت تنوي إنشاء معمل خاص لها في منطقة الهرم.

أين سيارة النقل التي ظهرت في طريقها؟ ومن كان فيها؟ أين ما توصلت إليه الشرطة الأمريكية؟ ولماذا قيدت القضية ضد مجهول؟ أين... أين؟ هل ماتت د. سميرة ميتة عادية أم أنه حادث اغتيال؟

تسميم الدكتور مصطفى مشرفة

ولا زلنا مع العلماء تحديداً الذين عثروا على جثثهم مغطاة بعلامات الاستفهام. تتسع القائمة لتشمل د. مصطفى مشرفة المتوفى في 16 يناير عام 1950 بطريقة بدائية للغاية بالسم.

كان د. مصطفى مشرفة أول مصري يشارك في أبحاث الفضاء، بل والأهم من ذلك كان أحد تلاميذ "ألبرت أينشتاين"، وكان أحد أهم مساعديه في الوصول



للنظرية النسبية، وأطلق على د. مشرفة لقب "أينشتاين العرب"، وباتت ظروف وفاة د. مشرفة المفاجئة غامضة للغاية، وكانت كل الظروف المحيطة به تشير إلى أنه مات مقتولاً على يد الصهيونية العالمية، فيكفي أن نقول أن نظرتهم للطالبة النابغة د. سميرة موسى لن تختلف عن نظرتهم لأستاذها الأكثر نبوغاً د. مصطفى مشرفة.

العالم المسلم الدكتور رمال حسن رمال

وفاة العالم المسلم اللبناني الجنسية الدكتور رمال حسن رمال وقد جاءت الوفاة في ظروف مريبة حيث حدثت في المختبر ووسط الأبحاث العلمية التي تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة عالم مسلم آخر هو الدكتور حسن كامل صباح الذي كان يعمل أيضا في مجال الفيزياء، ويعد رمال حسن أحد أهم علماء العصر في مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة "لوبوان"، التي قالت أيضا إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمي في باريس السابع من بين مائة شخصية تصنع في فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادي والعشرين، وكانت فرنسا قد طلبت من العالم الراحل العمل لديها عقب حصوله على درجة الدكتوراه فوافق على تولي منصب أستاذ في جامعة "جرونوبل" إضافة إلى عمله كباحث في المركز الوطني للبحوث العلمية الذي يضم خلاصة العقول المفكرة في فرنسا، كما تولى مهام مدير قسم الفيزياء الميكانيكية والإحصائية في المركز بعد فوزه بالميدالية الفضية عن أبحاثه حول فيزياء المواد عام 1989م كما تمكن من التوصل إلى اكتشافات علمية مبهرة في مجال الطاقة ومن أبرز إنجازاته العلمية اكتشافاته في مجال الطاقة البديلة باستخدام الطاقة الشمسية والكهرباء الجوية والطاقة الصادرة عن بعض الأجسام الطبيعية ولم يستبعد وجود أصابع خفيه وراء الوفاة التي تتشابه مع وفاة العالم حسن صباح في عدم وجود آثار عضوية مباشرة على الجثتين.

الدكتور حسن كامل صباح "أديسون" الشرق

يصل عدد ما اخترعه حسن كامل الصباح من أجهزة وآلات في مجالات الهندسة الكهربائية والتلفزة وهندسة الطيران والطاقة إلى أكثر من 176 اختراعًا سجلت في 13 دولة منها: الولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا وكندا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأستراليا، والهند واليابان وأسبانيا واتحاد دول أفريقيا الجنوبية. وبدأ اختراعاته عام 1927 بجهاز ضبط الضغط الذي يعين مقدار القوة الكهربائية اللازمة لتشغيل مختلف الآلات ومقدار الضغط الكهربائي الواقع عليها.

وفي عام 1928 اخترع جهازًا للتلفزة يستخدم تأثير انعكاس الإلكترونيات من فيلم مشع رقيق في أنبوب الأشعة المهبطية الكاثودية، وهو جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتليفزيون ورؤية صاحبه في آن واحد.

كما اخترع جهازاً لنقل الصورة عام 1930، ويستخدم اليوم في التصوير الكهروضوئي.

وفي العام نفسه اخترع جهازاً لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية مستمرة، وهو عبارة عن بطارية ثانوية يتولد بها حمل كهربائي بمجرد تعرضها لأشعة الشمس، وإذا وُضع عدد منها يغطي مساحة ميل مربع في الصحراء؛ فإن القوة الكهربائية التي يمكن استصدارها من الشمس عندئذ تكون 200 مليون كيلو وات، وقد عرض الصباح اختراعه هذا على الملك فيصل الأول ملك العراق ليتبناه، ولكنه مات ثم عرضه على الملك عبد العزيز بن سعود لاستخدامه في صحراء الربع الخالي، ولكن الصباح مات بعد فترة وجيزة.

وكان قد شرع قبيل وفاته في تصميم محرك طائرة إضافي يسمح بالطيران في الطبقات العليا من الجو، وهو شبيه بتوربينات الطائرة النفاثة.

الموت المفاجئ

وقد حدثت الوفاة المفاجئة مساء يوم الأحد 31 مارس 1935 وكان حسن كامل الصباح عائدًا إلى منزله فسقطت سيارته في منخفض عميق ونقل إلى المستشفى، ولكنه فارق الحياة وعجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية خاصة وأنه كان يعاني من حقد زملائه الأمريكيين في الشركة، وذكر ذلك في خطاباته لوالديه.

وحمل جثمان العالم اللبناني والمخترع البارع حسن كامل الصباح في باخرة من نيويورك إلى لبنان، وشيعت جنازته في مسقط رأسه ببلدة النبطية بجنوب لبنان.

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

علماء العراق على مقاصل المشروع الأمريكي الصهيوني

..الأرقام المعلنة عن العلماء والأساتذة الذين تم اغتيالهم وإجبارهم على الرحيل مفزعة، ويكفي أنْ نشيرَ هنا إلى المعلومات التي ذكرت في ندوة عقدت بالقاهرة، تشير إلى أنّ فرق الاغتيالات الإسرائيلية اغتالت حوالي 310 من علماء وأساتذة العراق، ثم تم الكشف بعد ذلك عن أن أكثر من 500 من علماء العراق، وأساتذته موضوعون على قوائم الاغتيال الإسرائيلية، وتشير أيضًا إلى أن 17 ألفًا من العلماء والأساتذة أُجبروا على الرحيل من العراق منذ بدء الاحتلال.

لم يكن يخطر في ذهن د. الحارث عبد الحميد أستاذ ورئيس قسم الصحة النفسية في جامعة بغداد، والذي اغتيل أمام زوجته في مدخل جامعة بغداد، أنّ بحثه الذي أرسله إلى مؤتمر علمي في دمشق، سيكون مناسبة لتأبينه، بعد أن تم اغتياله قبل أيام من انعقاد المؤتمر، بعد أن تحدث لفضائية "الجزيرة" الإنجليزية عن اغتيال الأطباء في العراق.

وهكذا يتعرض العلماء العراقيون لسياسة ثابتة قوامها التصفيات الجسدية والمعاملات التعسفية، التي دفعت بالعديد منهم إلى ترك وطنهم واللجوء إلى دول أخرى، ما يتسبب بخسارة فادحة للمجتمع العلمي العراقي.

بداية الكارثة

وقد بدأت هذه الكارثة بعد سقوط بغداد مباشرة، وبعد أن أصبح الاحتلال الأمريكي للعراق أمرًا واقعًا وحقيقة مؤكدة، فقد وضعت قوات الاحتلال العشرات من العلماء العراقيين تحت الإقامة الجبرية داخل بيوتهم، وأمنت لهم حراسة دائمة، كما منعت عددًا آخر من التوجه إلى الجامعات ومراكز العمل، وبدأت مفاوضات مع آخرين من أجل نقلهم إلى مراكز أبحاث أمريكية أو بريطانية.

فِرقُ المداهمات كانت تحمل لوائح طويلة بالأسماء والعناوين، ما سهل عمليات التهديد والتحقيق، في غياب كامل لأية سلطة، وانشغال العالم كله بالفوضى التي يعيشهاً العراقَ.

العلماء العراقيون، والذين يُقدَّرون وفقًا لإحصاءات أمريكية بالآلاف، منهم خمسمائة عالم تعتبرهم المخابرات الأمريكية والصهيونية نخبة علماء العراق المقربين من "صدام"، والذين شاركوا بشكل كبير في بناء برنامج التسلح العراقي، الأمر الذي كان بمثابّة رعًب شديد لـ"إسرائيل" إلى حين سقوط بغداد، وتتضافر تقارير عالمية لتؤكد وجود فرقة مكونة من مائة وخمسين عنصرًا من "الكوماندوز الإسرائيلي" مهمتها متابعة العلماء المرصودين وتصفيتهم، وهناك تقارير متعددة حول عمليات التصفية التي تمت إلى الآن، وتصل وفق بعض المصادر إلى أكثر من 300 عالم.

ولا تقف عملية التدمير والملاحقة المستمرة من قِبل الأجهزة الأمنية "الإسرائيلية" والأمريكية عند العلماء العراقيين وحدهم، إنما تجري عملية تدمير لكل الخبرة العلمية والبحثيِة العراقية في هذا المجال، إذ تشير تقارير متعددة إلى أنّ عمليات التخريب والتدمير التي تمت بعد الحرب شملت تخريب وتدمير عشرات المعامل ومراكز الأبحاث والدراسات العلمية في الجامعات العراقية، خاصة جامعة الموصل، بما فيها من أدوات وأجهزة وأبحاث ودراسات.

وتتفق هذه العملية المنظمة مع دراسة أصدرها مركز الخليج للدراسات حول وجود مخطط صهيوني - أمريكي للقضاء على خبرة العراق العملية في مجال التصنيع العسكري، ويتضمن المخطط المذكور منع العراق من إعادة بناء قدراته العسكرية، ومنع وصول العلماء العراقيين إلى أي بلد من البلدان العربية والإسلامية، وملاحقة العلماء والخبراء العراقيين واستقطابهم للعمل في مراكز ومعاهد أمريكية وإسرائيلية، ووضع خطة وقائية لمنع الطلاب العرب الدارسين في الغرب من التحصيل العلمي في مجال الأبحاث القريبة من حقل التصنيع العسكري، وتدمير البنية التحتية العراقية التي أنتجت مشروع التسلح العراقي.

17 ألف عالم عراقي أُجبروا على الرحيل

الأرقام المعلنة عن العلماء والأساتذة الذين تم اغتيالهم وإجبارهم على الرحيل مفزعة، ويكفي أن نشيرَ هنا إلى المعلومات التي ذكرت في ندوة عقدت بالقاهرة، تشير إلى أنّ فرق الاغتيالات الإسرائيلية اغتالت حوالي 310 من علماء وأساتذة العراق، ثم تم الكشف بعد ذلك عن أن أكثر من 500 من علماء العراق، وأساتذته موضوعون على قوائم الاغتيال الإسرائيلية، وتشير أيضًا إلى أن 17 ألفًا من العلماء والأساتذة أُجبروا على الرحيل من العراق منذ بدء الاحتلال.

هذه التصفية الجماعية لعلماء العراق وأساتذته، ليست سوى وجهًا واحدًا من وجوه محنةٍ قاسيةٍ مؤلمةٍ يعيشها أساتذة العراق اليوم، وتعيشها جامعاتًه ومؤسساته الأكاديمية.

وهناك من يجزم بهجرة عدد كبير منهم إلى أمريكا، بعد سلسلة من الضغوط الأمريكية مُورست عليهم، تنوعت بين الترهيب والترغيب، بدأتها أمريكا مبكرًا أثناء عملية التفتيش وقبل احتلال العراق بفترة طويلة، منها القرار الأمريكي الذي صدر بتسهيل منح العلماء العراقيين الراغبين في إفشاء أسرار أسلحة الدمار الشامل الجنسية الأمريكية، ووصل الأمر لسنّ قانون خاص لهجرة العلماء العراقيين، صدّق عليه مجلس الشيوخ لمنح العلماء العراقيين



الذين يوافقون على إفشاء معلومات مهمة عن برامج بلادهم التسليحية بطاقة الهجرة الأمريكية الخضراء، كان الهدف واضحًا وهو ما عبّر عنه السيناتور "بايران"، والذي اقترح مشروع القانون صراحة بأن القانون يسعى لحرمان العراق من الكوادر الفنية والهندسية الضرورية لاستمرار برنامجه في إنتاج أسلحة الدمار الشامل، واعتقد "بايران" أن مشروع القانون سيساعد المفتشين الدوليين، ويسهل مهمتهم في البحث عن الأسلحة.

وعلى الرغم من وجود آلاف المفتشين الأمريكيين الذين دخلوا بعد سقوط بغداد للبحث عن هذه الأسلحة، إلا أن أحدًا لم يسمع عن وجودها! ولم نسمع أيضًا عن أسماء أعلنتها الإدارة الأمريكية لعلماء حصلوا على بطاقة دخول البلاد الأمريكية؟

عقلُ العراق إذن كان مستهدفًا، وليس أدلّ على ذلك من وجود عدد من علماء العراق النوويين والبيولوجيين على القائمة الشهيرة التي وزعتها وزارة الدفاع الأمريكية للمطلوبين العراقيين.

الأمريكان بالطبع كان لديهم كشوف بأسماء وعناوين هؤلاء العلماء، وتردد أنه تمت مطاردتهم بعد الاحتلال واعتقال بعضهم وتهديدهم لتسليم ما لديهم من أبحاث، ما دفع بعض هؤلاء العلماء للاستعانة من خلال البريد الإلكتروني لإنقاذهم من عمليات المداهمة والتحقيق والاعتقال، وكشفوا أيضًا عن محاولات لإغرائهم ونقلهم إلى مراكز بحثية غربية.

دلالات مهمة

لا تدل مؤشرات عمليات الاغتيال على أنها تستهدف أي اتجاه طائفي أو ديني. الاتجاه الوحيد السائد فيها هو أن العرب يشكلون الأغلبية المطلقة للضحايا. هذه هي استنتاجات أول دراسة إحصائية لمجزرة علماء وأطباء ومهندسي العراق، أعدها بالإنجليزية الطبيب الاستشاري العراقي "إسماعيل الجليلي"، وعُرضت في "المؤتمر الدولي حول اغتيال الأكاديميين العراقيين"، الذي عُقد في العاصمة الإسبانية "مدريد" مؤخرًا لمناقشة هذه الكارثة.

وتضم قائمة القتلى أسماء أكثر من 300 عالم وأكاديمي، لكن العدد الحقيقي قد يكون أكبر من ذلك، فكثير من أُسر الضحايا يخفون مصابهم، ولا يبلغون سلطات الأمن، لشكّهم بضلوعها في الاغتيالات.

ويظهر من هذه الإحصائيات أن اغتيال علماء العراق جزءٌ من استراتيجية "الفوضى المنظمة" التي اتّبعها الاحتلال منذ الغزو لتطويع العراقيين وإخضاعهم.

وليس عبثاً أن تستهدف المجزرة الجامعات التي تُعتبر في العراق، كما في جميع بلدان العالم، مراكز النشاط والحراك الثقافي والسياسي. ويدل تحليل الإحصائيات التي أعدتها "رابطة التدريسيين الجامعيين" في بغداد، أنّ 80 في المائة من عمليات الاغتيال استهدف العاملين في الجامعات، ويحمل أكثر من نصف القتلى لقب أستاذ وأستاذ مساعد، وأكثر من نصف الاغتيالات وقعت في جامعة بغداد، تلتها البصرة، ثم الموصل، والجامعة المستنصرية. و62 في المائة من العلماء المغتالين يحملون شهادات الدكتوراه، وثلثهم مختص بالعلوم والطب، و17 في المائة منهم أطباء ممارسون، وقد قُتل ثلاثة أرباع العلماء الذين تعرضوا لمحاولات الاغتيال.

إنهم يرفضون الحماية

لقد طلبت جهات كثيرة من الحكومة العراقية أن تحمي هؤلاء الأساتذة أمنيًا مثلما هي تحمي نواب البرلمان البالغ عددهم 275 نائبًا برلمانيًا يكلفون الدولة 27 مليون دولار شهريًا، لكل نائب حوالي 10 حرّاس، وأنّ عليها أنْ تضع على الأقل حارسيْن مسلحيْن لكل أستاذ جامعي، فحمايةُ الثروة العلمية العراقية أفضل وأكثر إلحاحًا لأن هناك قتلاً مبرمجًا.

ويرى بعض الأساتذة العراقيين أن هناك عصابات قتل مرتبطة ومحمية من قوات الاحتلال هي الفاعل الرئيس لهذه الجرائم، فكيف نطلب من المجرم أن يحل مشكلتنا؟ وكيف نعتقد أنّ حارسين لكل أستاذ هو الحل؟ إن حل المشكلة هو بالضغط لخروج قوات الاحتلال، وكذلك بالرفض العراقي والعربي والعالمي لكل الميليشيات القومية والطائفية على الإطلاق.

سبق وفعلها الأمريكان

الخبراء يؤكدون أنّ الولايات المتحدة طبّقت مثل هذا البرنامج في تصفية العلماء الألمان بعد هزيمة ألمانيا ضمن برنامج باسم "بايبر كليب"، لكن العلماء الألمان وافقوا على التعاون مع الأمريكيين وتم ترحيل 500 عالم ألماني إلى أمريكا.

كما أن إسرائيل أيضًا مارست تصفية العلماء الألمان الذين عملوا في برنامج الصواريخ المصري في الستينات بحملة الطرود المفخخة، كما مارست قتل العلماء العرب المتخصصين في المجال النووي مثل العالم المصري د. "يحيى المشد" 1980م، الذي انضم لمشروع بناء المفاعل النووي العراقي الذي قصفته إسرائيل، وكذلك قتلت عالم الذرة الفلسطيني "نبيل فليفل" 1984م.

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

لو كانت لي دعوة مستجابة...

عبد المغيث موحد

"بارك الله لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره" بهذه الكلمات السُّنية افتتح أحد الإخوة الوعاظ كلمته، وكنت يومها مدعوا للحضور مناسبة نسيكة، وكما كان اللفظ سنيا كان السمت كذلك أخ أعفى لحيته وحف شاربه استنانا بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، لا محاكاة لسيخ أو هندوس أو فلاشا بني صهيون وقد يجد المرء كلاما من قبيل التعريج على وصف الأخ الداعية ضربا من الفضول وحشو الكلام، ولكن للوصف علاقة وثيقة بما كان، وبما أحببت أن أنقله إلى من يقاسمنا خندق الحق وهمّ الدفاع عن أهله ذلك أن دعاء كفارة المجلس تخلله الدعاء لملك المغرب والمغاربة بالتأييد والتوفيق والتمكين، فالتفت إلي أحد الأصدقاء وعيناه تفيض من التعجب فقد بدا عليه أنه استغرب بل استبعد أن يدعو "بولحية" مع السلطان، وربما سوّلت له نفسه أن الدعاء خرج مخرج التقية والمداهنة، وربما دار في خلده أن الظرف ظرف طارئ، استوجب ذلك دفعا لمكروه محتمل أو تهمة مفصلة تكون هدية عيد فوعيد! كان ظني في محله فقد همس في أذني مستفهما بالوكالة: "أفي القنافذ أملس؟!".

فقلت له مازحا: "أوزغة" معنا في المجلس؟!".

إن مثل هذا الكلام ومثل هذا الإحساس، لا يمكن أن يمر دون وقفة بل وقفات لنتحسس منه ومن خلاله حجم الفجوة التي أصبحت محشورة بين الحق وإمكانية معانقته، وكذا مدى قوة نفاذ الباطل في قلوب الخلق واستفحال آثاره على جوارح الناس.

وعليه، كان من الضروري مبادلة النظر بالنظر، ومقارعة الرأي بالرأي، نشدانا للصواب، وإضافة نوعية لرصيد الأمل، الأمل في دمغ الحق للباطل حتى يكون زاهقا زهوقا، وهذه لا شك قضية على قدر ما تبدو يسيرة، على قدر ما هي صعبة، ذلك أن هناك فئات من الناس استمرؤوا المحنة وتفيؤوا منها ظلالا أنعشت هوسهم وحققت سراب رغباتهم، وهم ينشطون في السعي ابتغاء النفخ في نيران الفتنة ورماد الفرقة، وتلبية لسعيهم يركبون صهوة ادعاء الصلاح والدعوة إلى حضيرة باطلهم، وحيثما وجد الحق تجدهم قد شمروا على سواعدهم لاستئصال شأفته، والتلبيس على الخلق حتى يحال بينهم وبين فطرة الله التي فطر الناس عليها فحسبنا فيهم قوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**" البقرة.

إن أهل الإسلام حين يرفعون أكف الدعاء لإمامهم وخليفتهم لا يفعلون ذلك مداهنة ولا تقية إنما هم في ذلك يقتفون آثار أسلافهم جيل الصحابة والتابعين يوم كان الواحد من أهل العلم والصلاح يوثر على نفسه ويقول: لو خصني الله بدعوة مستجابة لجعلتها في السلطان بغية صلاحه ونصرته بالحق ومن أجل الحق، وأهل الإسلام يعلمون أكثر من سواهم أن في هذا استجابة لأمر الله ورسوله وأن ذلك سلوك تعبدي يثابون عنه في الفعل ويلامون عنه حالة الترك.

إن أهل السنة لا يؤسسون علاقاتهم مع من يسوس أمورهم وإمارتهم على عقد دنيوي صرف، شروطه تنظيم عملية الإشباع من نعمتي الله: نعمة الإطعام من الجوع ونعمة الأمن من الخوف فحسب، بل هم يجعلون هذا العقد يدور في فلك عقد أوسع وأوثق وأرحب إنه العقد الديني، ولذلك تجدهم حالة النعماء يشكرون شكر الأحرار، وحالة الضراء يصبرون صبر الأبرار، وهم بين هذه الحالة وتلك يرجعون المرة تلو الأخرى لِيُجددوا هذا العقد، وليستشعروا قيمة المسؤولية أمام العباد ورب العباد ساعة احتمال إمكانية إخلال البعض بشروط هذا العقد، وشق عصا الطاعة والخروج على السلطان بالكلمة أو بالسيف، ثم إن على الذين يحبون أن يرموا بشباك المزايدة ومناخيل الظن في هذا الموضوع أن يتذكروا وعلى الدوام أن علاقة المغاربة المسلمين أو المغاربة الإسلامويين -كما يطيب للبعض أن ينبز- مع خليفتهم هي علاقة أوثق عروة وأدوم مودة، ذلك أنهم يعلمون أن علاقتهم هذه أو عقدهم هذا هو التزام شرعي، من هلك دونه مات ميتة جاهلية، نعم إنها الطاعة لله والبيعة لرسوله ولأولي الأمر من العلماء وحكام المسلمين، ثم إن على أهل المزايدة وهم يجترون ما حوته ذاكرتهم أن يقروا

إننا
حينما نقف أمام تلك اللوحة التي تتوسطها
كف يد واحدة مكتوب على أسفلها عبارة "ما تقيش بلادي"
لَنعلمُ أنكم تقسِّمون المغرب إلى فسطاطين فسطاط يركب سفينة
النجاة وفساط مصيره الطوفان، وإننا وللأمانة نقترح أن تكون
اللوحة تحمل عبارة "ما تقيش ديني" لنجعلها توحد المغاربة ولا
تفرق بين وطنهم ودينهم، فما قيمة وطن لا يعبد فوقه
ربنا سبحانه وفق ما شرع.

ويعترفوا أن هذه البيعة لا نظير لها ولا أثر في بطون دساتيرهم وتشريعاتهم الوضعية الوضيعة، وإنني كغيري أستبعد أن يكون في مقدور أحدهم ومهما كانت درجة صفاقته اعتلاء منبر من منابرهم ليحدث الناس عن سبق "ماركس" أو "لينين" أو "دوتوكفيل" في التنصيص على هذا النوع من العقود الشريفة في ديباجة قوانين "البرولتاريا" العمالية أو الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج والمال.

لهذا لا لغيره تتسع فجوة الفروق بين أهل السنة وغيرهم، فحينما ينادي أهل الحق بضرورة أن يسود مَلكنا وأن يقيم حدود الله، فإنكم أهل الثورة الحمراء والصفراء تريدونه أن يسود ولا يحكم، أي حينما نريده نموذجا من نماذج أهل العدل والصلاح تريدونه أنتم بل تريدون ملكيته نموذجا لملكية اسبانيا وبريطانيا، ليتأتى لكم والحال كذلك، ما كان قد نادى به صاحب الثورة اللادينية يوم كان آذان الفجر يقض مضجعه فاقترح أن يرفع الآذان باللغة التركية، ومن يدري؟ فقد يحلم الأحفاد بإعادة أحقاد الأجداد.

ولربما أسمعونا الآذان بالفرنسية، وأقاموا الصلاة بالاسبانية، وتلي كتاب رب العزة باللاتنية، وربما قسمت جغرافيتنا إلى بقع أرضية متجاورة إحداها لأهل الكتابة السومرية (التيفيناغ)، والثانية لجمهورية الوهم الصحراوية، والثالثة على حد تعبير "أحمد الدغرني" للغزاة أهل الاسلام أهل اللغة العربية، وبين هذه وتلك قصبات مشبوهة لأصحاب القبعات الزرق "الأمم المتحدة" أهل الحل والعقد الجدد، الذين بات وجودهم ضروري لمنع احتمال وقوع تطاحن قبلي أو طائفي غير مرغوب فيه!!؟.

إننا حينما ندعو أو نؤمِّن فإننا نعمل من خلال ذلك على تجديد البيعة وإخراجها من حيز النوايا إلى فضاء الفعل والسلوك، وسواء كنا أهل دعاء أو تأمين فإننا لن نتخلف عن الدفاع على ثخوم أرضنا وعن مكتسبات دولتنا ذات الأصول الإسلامية ساعة العقد التأسيسي الأول، إننا ونحن نرى تهديدا من قبيل خروج بعض المنتسبين إلى ديننا الحنيف، وهم أقرب ما يكون انتماء إلى ثقافة "الهاركيري" الياباني أو ما يسمى بحالة الانتحار الجماعي عند أصحاب العيون الضيقة، لن نتوانى عن مقارعة هذا النوع من الفكر الشاذ والسلوك المنحرف بل مجاهدته باليد واللسان والقلب بغية اجتثاثه من صدور الناس، وإننا إذ نواجه نملك كامل الجرأة لكي نسمي هذه الطائفة من البشر بالفئة الباغية الطاغية خوارج آخر الزمن.

فيا ترى ماذا كنتم سميتم الخارجين عن طاعة سلطان المغاربة، يوم كان الرفاق يجتمعون في الزقاق، ويقررون في العلن أن نظام الخلافة ومعه ميثاق البيعة تجاوزه الدهر، بل بات يشكل نشازا في منظومة علاقة الحاكم بالمحكوم؟

إننا لا نحتاج أن نذكركم وأنتم لا تزالون ترددون باسم الإنصاف وتدافعون باسم المصالحة عن ذلك الجيل الأحمر والأصفر، فمن مات فهو عهدا المقرب الشهيد، ومن عاش فهو وفاء المناضل الصنديد.

إننا حينما ننكب وبقلوب منكوبة على التفكير في إيجاد حل لهذا النوع من "المازوشية" الجديدة لا يمكننا أن نعزف على القول الذي مفاده "داويني بالتي كانت هي الداء" بل إننا نستحيي أن نجعل ضمن أجندة المواجهة برنامجا حافلا بالمهرجانات الساخنة، يؤثث سقفها نجمات الكلمات النابية المثيرة أمثال "نانسي عجرم" وأختها في الحرفة "هيفاء وهبي" حرفة هز الأجسام لدغدغة مشاعر المراهقين، واستفزاز أحاسيسهم، واستعار شهوتهم، وتبليد طباعهم، وتقويض أخلاقهم، إننا وحالكم كذلك، سنرجع المرة والمرات إلى أهل العلم الذين نطقوا بالكتاب ونطق بهم، والذين هم ورثة الأنبياء، لنستعين بهم ونحن نواجه الخوارج الجدد، لأننا نعلم أن شق عصا الطاعة أصله فكر شاذ، وسوء فهم عن الله ورسوله، ولأننا نعلم وبيقين أنهم أهل لهذه المواجهة، وحقيق بهم أن ينفوا عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فهم سمع الأمة وبصرها، ومتى غابوا عنها أوغُيبوا استفتى الناس رؤوسا جهلة، فأهلكوا الحرث والنسل.

إننا حينما نقف أمام تلك اللوحة التي تتوسطها كف يد واحدة مكتوب على أسفلها عبارة "ما تقيش بلادي" لَنعلمُ أنكم تقسِّمون المغرب إلى فسطاطين فسطاط يركب سفينة النجاة وفساط مصيره الطوفان، وإننا وللأمانة نقترح أن تكون اللوحة تحمل عبارة "ما تقيش ديني" لنجعلها توحد المغاربة ولا تفرق بين وطنهم ودينهم، فما قيمة وطن لا يعبد فوقه ربنا سبحانه وفق ما شرع.

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

أبناؤنا والكلام الفاحش والبذيء الأسباب والعلاج

نبيل الزناسني

المتجول في أغلب -إن لم نقل- كل شوارع وأزقة بلادنا تثير انتباهه ظاهرة غريبة متفشية بين صفوف أبنائنا وبناتنا ورجالنا، تجعل من في نفسه شيء من الدين والحياء يشعر بالغضب والامتعاظ ابتداء، ثم سرعان ما يذوب هذا الشعور ويتلاشى، ليتحول إلى شفقة ورأفة وحسرة على تدني المستوى الأخلاقي والتربوي لفلذات أكبادنا، هذه الظاهرة هي الكلام الفاحش والبذيء المتداول بينهم، فما أن تمر بمجموعة من الأطفال تعلب في الشارع أو أمام المدارس إلا يطرق سمعك وابل من السب والشتم، سب لله جل في علاه، وسب للدين، ولعن للأبوين وقذف للأمهات ورميهن بجريمة الزنا.. فمعظم مصطلحات الأطفال والشباب تدور في هذا الإطار.

الكلام البذيء؟

الكلام البذيء هو استعمال كلمات غير مقبولة أخلاقيا واجتماعيا، ويعتبر نوعا من أنواع العدوان اللفظي.

فعلى الرغم من أن زلات الأبناء اللفظية قد تكون مزعجة ومثيرة للغضب، وتشعر بالارتباك والخجل أمام الآخرين، إلا أنها تظهر لدى بعض الأطفال في سن مبكرة فيرددونها بهدف لفت الانتباه، وقد ترسخ عند الأطفال الذين لا يتم توجيههم بصورة فعالة في عمر لاحق، فيتخذونها وسيلة للتحدي والعدوان اللفظي. إلا أن معظم الأطفال تصدر عنهم ألفاظ نابية في مرحلة من مراحل نموهم، وكل الآباء يواجهون تحديا من هذا القبيل.

أسباب الظاهرة

للظاهرة أسباب متعددة نذكر منها:

1- **التقليد والتأسي**: وهو وجود نموذج أمام الطفل يستخدم الكلمات البذيئة، فالأطفال يكررون ما يسمعون ويدمجون الكلمات التي يسمعونها ضمن مصطلحاتهم، وعند استخدام الوالدين أو المحيطين بالطفل ألفاظا غير مناسبة يتعلمها الطفل ويبدأ باستخدامها.

2- **لفت الانتباه**: قد يستخدم الطفل الكلمات البذيئة من أجل لفت انتباه من يحيطون به، وعندما يستخدم تلك الكلمات لأول مرة دون أن يعرف معناها، ثم يجد أنه لفت الانتباه، يميل إلى تكرارها مرة أخرى.

3- **الشعور بالإحباط أو الغضب**: عندما يشعر الطفل بالإحباط الناتج عن عدم قدرته على إنجاز العمل الذي يقوم به، وعندما يشعر بالغضب فقد يُعبر عن إحباطه وغضبه باستخدام كلمات تصبح جزء من قاموسه اللغوي، فلكل شخص عبارة خاصة به يكررها في ذلك الموقف، قد تكون مقبولة أو غير مقبولة.

4- **ترديد العبارات دون إدراك قبحها**: يميل كثير من الأطفال إلى استخدام كلمات غير مقبولة، ويستخدمونها دون إدراك معناها.

5- **الازدواجية في التعامل**: عندما يقوم الكبار باستخدام عبارات غير مقبولة ويرفضون سماعها من الأطفال، فقد يلجأ الطفل لاستخدام هذه العبارات ليشعر بالقوة وبأنه أصبح كبيرا.

6- **تحدي سلطة الكبار**: يستخدم الأطفال الكلام البذيء بغرض استثارة غضب الكبار، وإشعارهم بعدم الارتياح.

7- **التعزيز**: عند استخدام الطفل لكلمات بذيئة يستجيب الكل أحيانا بالضحك والابتسامة، فيشعر باستحسانهم ويكرر هذه الكلمات.

طرق العلاج

هناك أسباب عديدة تجعل الطفل يستخدم الكلمات البذيئة، وعندما نتوقع مسبقا أن أي طفل يمكن أن يمر بهذه المرحلة فهذا يساعد على إعطاء المشكلة حجمها الطبيعي، وأن بالإمكان التوصل إلى حل لها بسهولة، وذلك بـامتثال الخطوات التالية:

- تقوية الوازع الديني لدى الطفل: وذلك بتعليمه وتحفيظه لبعض الآيات والأحاديث التي تنهى عن السباب والسخرية والكلام البذيء، كقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**"، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**" رواه البخاري، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**" رواه الترمذي.

- مخاطبة الطفل بأسلوب يوصل المعلومة له بكل يسر وسهولة، وذلك بضرب الأمثلة الحسية، فهو في مرحلة لا يعرف بعد فيها تقدير القيم والأخلاق والمبادئ، فيحتاج إلى تشبيه وتمثيل، فيقال له مثلا: "إن الله تعالى يسمعك، وإن الله تعالى لا يحب منك أن تتلفظ بالكلام البذيء"، وتفسَّر له هذه الآية: "**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ**" وهكذا.

- تشجيع الطفل على التعبير عن الإحباط أو الغضب بطريقة مقبولة، واستخدام عبارات مقبولة مثل الاستغفار والاسترجاع والاستعاذة من الشيطان.

- تجاهل الطفل عند استخدامه الكلام البذيء إذا كان عابرا ولم يستخدمه من قبل.

- تجنب الضحك مع الطفل أثناء استخدامه لكلمات غير مقبولة، وثق أن الضحك يشجعه، لأنه يجد أن ما يقوم به صار مصدر استحسان من الآخرين..

- اشرح للطفل أن الكلام البذيء يعبر عن عدم احترامه الناس، وأنه سيؤدي إلى عدم احترامهم له، فلا ينبغي استخدامه أبدا.

- كن قدوة للطفل: فعلى المربي والأسرة عموما تجنب الكلام البذيء أثناء الحديث وبخاصة في حالات الغضب.

- عَبِّر عن عدم قبول الكلام البذيء بطريقة صحيحة، مثل أنا أشعر بالغضب عندما تستخدم هذا الكلام، لأن ذلك يؤذي مشاعري.

- إذا كرر الطفل الكلام البذيء، وأردت أن تنبهه أو شعرت أنك يجب أن تقوِّمه، قل له ببساطة ودون أن ترفع صوتك "نحن لا نقول هذه الكلمات في هذا البيت".

- قدم التشجيع الفعال عندما يمتنع عن الكلمات البذيئة.

- إن واصل الابن استخدام الكلمات البذيئة والسباب، أظهر له استياءك بنبرة الصوت أو تعابير الوجه، ووضح نتائج سلوكه السلبي على الآخرين، مثال: ما شعورك لو وجه لك طفل آخر كلمات نابية؟ ودع الطفل يعبر عن شعوره.

وما أجمل الولد حين يتلفظ بالألفاظ الجميلة، والكلمات الحلوة اللطيفة، وما أحسنه حين يؤدب على منهج وقيم شرعنا الحنيف، ..وما أكرمه حينما يستهجن ما يسمعه من لغة اللعن والسب والبذاءة..! فلا شك أنه يكون حينئذ ريحانة في البيت، وشامة بين الناس.

الأبناء ثمرة الفؤاد ولكن..؟

كم يشتد حنين المرء حين تستقر به الحياة، ويطول عمره، ويقرب أجله، ويشرف على الرحيل، إلى ولدٍ من نطفته، يمد من عمره القصير، ويخلفه بعد الرحيل، يحمل اسمه، ويكون له أثراً يدل عليه، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث.." منها ولد صالح يدعو له.

نعم .. إن المال والبنون زينة، "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (الكهف) زينة ولكنهم ثمرة الفؤاد، وفلذات الأكباد، وبسمات الوجود، وزهرات الحياة، هم جَنْي البشرية الشهي، وقطفها الزكي، وعبيرها الفواح، هم بقاء للبشرية وامتداد لها، واستخلاف في الأرض واستثمار لها، وبناء للحياة واستمرار لها، فحب الولد والحنين إليه حقيقة كائنة في كيان كل إنسان سوي، وساكنة في كل ضمير حي، تتفق مع النظام الإلهي والبقاء والاستمرارية في حياتنا الزائلة..

ولكننا في عصرنا وحضارتنا الملية بالعادات الوبيئة، والوسائل الإعلامية الخليعة والمستوردة بأنواعها، جعلنا من أبنائنا وفلذات أكبادنا عرضة للانحرافات الخلقية والعادات السيئة، التي لا ينقذنا منها بعد الله سوى التمسك بتعاليم الإسلام السمحة، والابتعاد عما يتلوث به الأبناء، وذلك بحسن التربية الشرعية، حتى يكون لنا الأجر والثواب، ولهم الصلاح والعفاف، والبعد عن الرذيلة. وتربية الأولاد مسؤولية عظمى، سوف نسأل عنها أمام الله عز وجل.

فاتقوا الله في الأبناء، وارحموهم أيها الآباء، واعلموا أنكم مسؤولون عن هذا التحلل والتأثر بأخلاق الشرق والغرب.

العدد 22 . 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

ثورة جنسية وعريٌ فاضح
ثمرات إعلامنا المغربي المرئي والمكتوب

عبد الله الشرقي

يستغرب المتتبع للشأن الوطني، والحريص على مصلحة أفراده من كيد الأعداء، ما وصلت إليه منابرنا الإعلامية بشتى أنواعها من استهتار بالأخلاق مخالف لدين المسلمين، لا يزداد مع الأيام إلا استفحالا وفداحة.

ويستنكر الكثير من الشرفاء النتائج المخزية للمسلسلات المكسيكية، فمنذ بداية بثها على القناتين الوطنيتين وجيل الشباب خصوصا الفتيات في تأثر بليغ على مستوى القيم والتصورات تجلى ذلك بالخصوص في التحول الخطير والسريع على ثقافة اللباس وعلى الذوق والسلوك، والذي أصبحت آثاره واضحة لا تحتاج إلى بيان، فالبطون المكشوفة والصدور المبرَّزة بشكل استفزازي أصبحت تحاصر الرجال مثيرة لشهوتهم، مزعجة لأكثر الناس غضا للبصر.

وما ذاك إلا تقليدا لبطلات الأفلام المكسيكية والأجنبية حتى أضحت الأسواق المغربية تحرص على توفير آخر ما يُنتج في الغرب استجابة لهذا التقليد الأعمى.

أما بالنسبة للسلوك فالأفلام والمجلات العلمانية تحرص على الدعوة إلى العلاقات غير الشرعية حتى أضحت تقليدا يمارسه الصغار والكبار، والمحصن وغير المحصن..ومن ذلك مقال نشرته مجلة مغربية تصدر باللغة الفرنسية تحرض فيه الفتيات على القيام بمعاكسة الشباب مقترحة عليهم خمس خطوات حتى يوقعن بالذكور في شباكهن، معنونة لمقالها بـ "Draguez-le! Foncez!".

فهل هذه الثورة الجنسية التي يعاني منها مغربنا (فضائح أكادير المتكررة، فضائح المدارس، موقع بلوغ...) هي الثمرة المرجوة من هذا الكم الهائل من الأفلام والمسلسلات الماجنة التي تبث على قنواتنا؟

وينضاف لما تقوم به التلفزة



والمجلات تلك المحاولات المتكررة لإشاعة الفسق والانحلال والدفاع عن مروجيه من الشباب المخدوع وذلك من خلال ما ينتجه المستغربون المغاربة من أفلام سينمائية مثل فيلم "ملائكة الشيطان" الذي يدافع عن عبدة الشيطان، الذين يظهرون بين الفينة والأخرى في ربوع بلادنا.

فبعد مهرجان "أنغام السلام" بأصيلا الذي استضاف عبدة الشيطان الغربيين ليصلهم بأبنائنا الواقعين تحت التأثير، أصبحت الأنباء تتحدث عن تواجدهم بمدينة القنيطرة وبن سليمان.

هذا بالإضافة إلى الترويج والتطبيع لحركة عشاق موسيقى "الراب" و"الهارد ميتال" في وسائل الإعلام، بل ومن طرف بعض الأحزاب السياسية؟!

وهل المجلات المهتمة بالشأن النسائي من أمثال "نساء في المغرب" و"سيتادين" و"ميديا ماروك" و"باراد" و و.. التي تمتلئ صفحاتها بالصور العارية للنساء، وتستخف بالعفة والشرف مثل تهوين فقدان غشاء البكارة إثر علاقات الزنا.

فهل هذا هو الدفاع عن حقوق المرأة التي تدعي القيام به؟؟

وهل برامج مثل "للا العروسة" و"استوديو دوزيم" و"ستار أكاديمي" هي الكفيلة بمهمة التربية والتعليم؟!

وأمام غياب الرقابة وانعدام العمل بنظام الحسبة الإسلامي وإقصاء الكفاءات الملتزمة بدينها ذات الفهم الصحيح للإصلاح من تسيير منابر الدعوة والتعليم والإعلام تبقى هذه الهجمات تنخر في بنية مجتمعنا الإسلامي بكل شراسة وقوة!

فإلى متى نبقى مُعرضين عن ثمرات إعلامنا السيئة والذي للأسف يمول بمداخيل الضرائب المفروضة على الشعب؟

القناة الثانية (2M) بين الشذوذ والعلمانية

القناة الثانية والشذوذ

يتساءل كل متتبع للقناة الثانية عن الأسباب التي تدفع القناة للاهتمام ببعض المواضيع التي هي من قبيل ما يخالف الفطرة والعقل، ويدعو إلى هدم الأخلاق والقيم، وينشر الرذيلة، محاولة منها تطبيعها داخل المجتمع المغربي.، وهذا الأمر يبدو واضحا من خلال تسويق وجوه أمثال عبد الله الطايع الشاذ جنسيا الذي يحلو له أن يحكي مغامراته الجنسية مع بني جنسه من الذكور، ويحكي ما مورس عليه من جنس في صغره، وتقديمه أديبا للجمهور المغربي، علما أن هذا الشاذ سافر إلى فرنسا هروبا من القيود الدينية والمجتمعية التي تحرمه من ممارسة شذوذه، حيث احتفت به كبريات دور النشر الفرنسية والتي اعتبرته من النخب المتنورة لكونه كسر طابو الشذوذ واستطاع الجهر به.

والسؤال المطروح لماذا يتم استقبال مثل هذا الشاذ على قناة من قنواتنا الوطنية؟

أليس هذا الظهور الإعلامي لعبد الله الطايع والاحتفاء بأدبه الشاذ فيه تشجيع له ولأمثاله ونشر للمقاربة العلمانية في معالجة الشذوذ وتصريف الشهوة المتناقضة والتعاليم الدين الإسلامي الحنيف؟!

برنامج تيارات والعلمانية

استضاف برنامج تيارات الذي يعرض على القناة الثانية المغربية في احدى حلقاته من شهر أبريل المنصرم، الأستاذ الجامعي عبد الحي المؤذن وعز الدين العلام للكلام على مرجعية منفذي التفجيرات التي عرفتها مدينة الدار البيضاء شهري مارس وأبريل، والوقوف على دور المثقف في محاربة هذه الظاهرة وتقييم نتائجها ومحاولة معرفة أسبابها..

غير أن هذا المدعو عز الدين علام الذي كان يغلب على تدخلاته ضعف المعلومة الذي أنتج تلعثمه، هذا التلعثم الذي تجاوزه بمجرد أن بدأ بالدعوة إلى علمانيته فذكر أن لا دخل للدين في السياسة، ولا دخل للسياسة في الدين، وأنه لا يسمح لأحد بأن يفتيه في مأكله ومشربه وحياته الخاصة، كما دعا المثقفين إلى امتلاك الجرأة في الدعوة إلى العلمانية.

علما أنها ليست أول مرة تقوم فيها القناة باستضافة الدعاة العلمانيين أمثال سعيد الكفراوي، وسعيد الكحل، ومحمد البريني، وأدونيس..

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الكشوف الجغرافية ومدافع نابليون في مواجهة المسلمين

هل هناك علاقة بين جهل الأمة بتاريخها ورجالاته، وبين حالة التردي التي تعيش فيها؟

وهل لهذه الحالة أثر في المسخ الفكري الذي تعاني منه، وتتخبط في متاهاته بحيث تصدق أي مقولة تطرح عليها لتُثبَّت بعد ذلك في أذهان أبنائها على الرغم من زيفها من جراء تكرارها والتأكيد عليها؟!

وكلما مرت الأيام كشفت عن حقائق أكثر وصور أوضح بحاجة لإضافة بعضها إلى بعض لتتكامل صورة الاستعمار الحقيقية في أذهان الناس، وعندئذ لا يرون إلا الصليبية بحقدها البشع، وأنيابها البارزة، وأعمالها الوحشية.

إن واقعنا اليوم يشير إلى أن كثيراً من الأخطاء التاريخية قد لُبِّسَتْ على الأجيال، وماتزال تسيطر علي العقول، وأصبحت مُسَلّمات لا تقبل عندهم النقض، مما أثر في نظرتهم إلى أمتهم وتاريخها، وإلى أنفسهم ومستقبل أيامهم!

ففي كثير من كتب الأدب التي تُدرَّس للناشئة في بعض مناهج الدول العربية أن عصر النهضة بدأ بدخول حملة الجنرال الفرنسي "نابليون بونابرت" إلى مصر (1213هـ 1798م)، وأنها أدت إلى يقظة الأذهان في المشرق العربي، فأحسّت بالحاجة الماسة إلى نفض غبار الجمود، والأخذ بأساليب حضارية ملائمة لحاجات العصر ومتطلباته.

كما لايزال يتردد أن الدافع الذي كان وراء قيام أوروبا بالكشوفات الجغرافية كان الدافع الاقتصادي مع إغفال الجانب الديني الصليبي وإهماله.. فأين تكمن الحقيقة؟

يقول الأستاذ محمود شاكر (الشامي) مبيناً كِبر هذه المغالطة: إن الدافع الأساسي الذي دفع أوروبا هو الجانب الديني، وإن الجانب الاقتصادي قد نتج عنه، وكان ظله، أو الدرء الذي أخفت أوروبا خلفه حقيقة وجودها خارج بلادها أو في مستعمراتها.

إن الدول الأوروبية قد دفعت الإسبان والبرتغاليين لقتال المسلمين، وأيدتهم بكل ما يحتاجون إليه حتى إن بحارتهم كانوا من غير أبنائهم، وكان نتيجة ذلك الإمداد أن استطاع الإسبان والبرتغاليون طرد المسلمين من الأندلس وملاحقتهم في كل مكان، وكانت خطتهم تطويق المسلمين، وفي أثناء تنفيذ الخطة تمت معرفتهم لمناطق جديدة بالنسبة إليهم، فانطلقوا منها وأغرتهم بغناها، فانطلقوا من الحروب إلى جمع الثروة والتوسع في أراض جديدة، أو لازم أحدهما الآخر، وهذا ما أثار عليهم أصدقاء الأمس الذين حسدوهم في الاستعمار، واتهموهم بترك المهمة الأساسية التي ساروا من أجلها، والتي تلقوا المساعدات الكثيرة في سبيل تنفيذها، وهي قتال المسلمين، ولكن المغريات قد عطفت بهم الطريق، وحوّلتهم عن مهمتهم الأصلية بعض التحويل، لذلك قاموا ينافسونهم، فحصل التنافس الاستعماري الذي طغى عليه الجانب الاقتصادي ظاهرياً، هذا الجانب الاقتصادي أو التنافس الاستعماري قد طغى في النهاية على صورة الاكتشافات، وأظهر الاستعمار على أنه ظل له، وأنسى الكثيرين واقعه الحقيقي، فكتبوا عن الاستعمار وأثره في البلاد وأهدافه وغاياته والوسائل التي اتخذها.

وكلما مرت الأيام كشفت عن حقائق أكثر وصور أوضح بحاجة لإضافة بعضها إلى بعض لتتكامل صورة الاستعمار الحقيقية في أذهان الناس، وعندئذ لا يرون إلا الصليبية بحقدها البشع، وأنيابها البارزة، وأعمالها الوحشية.

لقد كانت مهمة إسبانيا الالتفاف على المسلمين من ناحية الشرق، بينما كُلفت البرتغال بالتحرك من الجنوب لإتمام عملية التطويق، وليس من شك بعد هذه الحقائق أن الدوافع الحقيقية لاكتشافات أوروبا الجغرافية هي الروح الصليبية الحاقدة التي كانت فاتحة للحروب الصليبية الجديدة التي عرفت باسم الاستعمار.

وأما الحقيقة التاريخية الأخرى فقد كشف عنها فارس التراث الشيخ محمود محمد شاكر (المصري) وواجه يرحمه الله الزيف الذي ضلل العقل العربي والإسلامي، وغرس في الأجيال الناشئة الاعتقاد بأن النهضة بدأت باجتياح الغزو الصليبي لهذه الديار، وبيّن أنها لم توقظ المسلمين كما يدعون، وإنما كانت لتدمير اليقظة التي بدأت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وهو يقابل نهاية القرن السابع عشر إلى نهاية الثامن عشر، وفي هذين القرنين ظهر خمسة من الأعلام، أسماهم الشيخ صناديد النهضة الإسلامية هم:

1- عبد القادر البغدادي ، صاحب الخزانة المتوفى 1093هـ/1683م.

2- الجبرتي الكبير، المتوفى 1118هـ/1774م.

3- الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المتوفى 1206هـ/1792م.

4- المرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس المتوفى 1205هـ/1790م.

5- الشوكاني، المتوفى 1250هـ/1835م.

ومن يدرس تاريخ هؤلاء الرجال وما أحدثوه من يقظة يتأكد أن الزحف العسكري الصليبي من هذا التاريخ: حملة "نابليون" على مصر كانت سنة 1798م إنما كانت لتدمير هذه اليقظة، وأن المسافة بيننا وبينهم في هذا الزمن قريبة يمكن أن تدرك بقليلٍ من الجد.

ومن يدرس تاريخ هؤلاء الرجال وما أحدثوه من يقظة يتأكد أن الزحف العسكري الصليبي من هذا التاريخ: حملة "نابليون" على مصر كانت سنة 1798م إنما كانت لتدمير هذه اليقظة، وأن المسافة بيننا وبينهم في هذا الزمن قريبة يمكن أن تدرك بقليلٍ من الجد.

وهذا المعنى أكده الشيخ محمود شاكر تأكيداً قاطعاً بما رواه من أحداث ثورة القاهرة الكبرى على الوجود الفرنسي، وكان ذلك في 10 جمادى الأولى 1213هـ/21 من أكتوبر 1798م، أي بعد ثلاثة أشهر من تدنيس "نابليون" أرض مصر، فارتكب في قمع هذه الثورة من القسوة والتدمير، وذبْح الرجال والنساء، وسفحِ الدماء الغزيرة ما ارتكب، ونذر أن يذبح عند شروق كلَ شمس خمسة أو ستة تقطع رؤوسهم ويُطاف بها في أنحاء القاهرة..

ويقول الشيخ: لاشك عندي أن هؤلاء الخمسة أو الستة هم من طلاب العلم في الأزهر، ومن المحرضين على مقاومة هذا الغازي المنتهك لحُرمة ديار الإسلام، وأن الاستشراق هو الذي كان يقدمهم لهذا الجزار، وأنه كان يتخيرهم له، لأنه كان على معرفة سابقة بهم، وأنهم كانوا من الطلبة النابهين من ورثة الجبرتي الكبير، والزبيدي، أي أنهم كانوا من طلائع اليقظة التي جاءت الحملة الفرنسية قبل كل شيء لوأدها في مهدها، ومما لا يُنسى أن الفرنسيين قاموا بقتل ثلث مليون مصري في وقت كانت تعداد مصر لا يتجاوز مليونين و460 ألف نسمة، وهدموا الكثير من القرى التي ثارت ضد جيش الاحتلال، والعديد من أحياء المدن، وكان من أهداف هذه الحملة كما يقول "جورج سوردون" أن الأسلحة الفرنسية استخدمت لتطبيق القانون الفرنسي.. فقانون "نابليون" هو الثمرة لمدافع "نابليون".

إن النهضة ووسائلها لم تكن في حسبان الغازين، فالمطبعة التي أحضرها "نابليون" من إيطاليا كانت لطبع بيانات التضليل للشعب المصري، تلك التي زعم فيها أنه مسلم أكثر من المماليك، وأنه نصير لخليفة المسلمين، ثم خرجت هذه المطبعة من مصر بخروج الحملة الفرنسية، ومما لا يُنسى أيضاً أن نهاية "كليبر" خليفة "نابليون" كانت على يد شاب أزهري هو "سليمان الحلبي" القادم من بلاد الشام.

ويسخر الشيخ من هذا الفساد المخجل الذي نعيشه حين نقول إن غزو "نابليون" لمصر هو بدء النهضة، ولم يقف الخطأ عند هذا الخزي وعند هذه المهانة وهذا العار الذي دل على جهلنا بتاريخنا ورجالنا الذين أسسوا لنهضتنا، ووضعوا لها المنار، وسلكوا الطريق، ونبهوا وأيقظوا، وجهلنا كل ذلك وجعلنا تاريخ وأد هذه النهضة هو بداية النهضة، وعلى الرغم من شناعة هذه الزيوف واستبدادها بالعقولِ لم نعدم أقلاماً وعقولاً راجحة، وأفكاراً نيّرة تحاول كشف هذه الأباطيل، وحصرها في زاويتها التي لا تتعداها،

وإذا كانت هاتان القضيتان قد وجدتا من يكشف زيفهما، فإن كثيراً من القضايا ماتزال تتلبس عقول المسلمين، وتشوه أفكارهم، وتترك أثرها غير الحميد في نفوسهم.

نقلا عن مجلة المجتمع

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

عندما تكذب فئة على نفسها وتلبس على الأمة دينها

: أبو عبد الرحمن عبد الحق كدام

عندما يُزيَّن الباطلُ وأهله بأنواع الإغراءات والشبهات، ويُشوَّه الحق وأهله بأنواع الافتراءات والادعاءات، آنذاك تتسارع الاستفسارات والتساؤلات إلى أذهنة المسلمين والمسلمات، ياتراه أين الحق؟

وأين الباطل؟

وأين أهل الإصلاح والصلاح من أهل الإفساد والفساد؟

أين الأقلام المدافعة عن الفضيلة من غيرها المجادلة عن السفور والرذيلة؟

أين..؟ وأين..؟

ولكن سرعان ما تأتي الإجابة فتنجلي الغشاوة وينفض الغبار عن قلوب أراد الله عز وجل لها التبصر والهداية، فيرون أمام أعينهم آيات وأحاديث تمر تترى فيثبتهم الله عز وجل بها ويطمئنون من خلالها إلى طريق الحق الذي لا ثاني له، قال تعالى: "**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**" الرعد، فيعرفون الحق بنوره والباطل بظلامه وفساده وسوء عواقبه، عند ذلك يقف المستبصر المُوَفق وقفة مع نفسه قائلا: عجيب أمر الناس غريب شأنهم، أليس للباطل رائحة كريهة ولأهله نوايا وأهداف خبيثة؟ فما الذي يجعل بعض الناس يرتمون في أحضانه ويسبحون في أوساخه؟

اشتبه عليهم الحق فلم يعرفوه؟

أم زيّن لهم الباطل حتى ألفوه؟

يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح: "ولا يشتبه أولياء الرحمان بأولياء الشيطان إلا على فاقد البصيرة والإيمان، وأنّى يكون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، المخالفون له إلى غيره أولياؤه، وقد ضربوا لمخالفته جأشا وعدلوا عن هدي نبيه وطريقته، (**وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**) الأنفال".

فلا يلتبس أمرهم إلا على فاقد البصيرة قليل الإيمان، وإلا فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وأرشد إلى الحق وأهله وحذر من الباطل وناشريه قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن ماجة بسند صحيح: "**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**"، فرغم بياض الحق ووضوحه وسواد الباطل وظلامه نجد من أصحاب الأهواء ذوي الأهداف الخبيثة ناشري الباطل من علمانيين وليبراليين وقوميين واشتراكيين ذوي الفكر التغريبي (التخريبي) يحيدون عنه حيدا ويقذفون أهله زورا وكيدا ليظهرونه باطلا وبالعكس، يطبلون ويزمرون للباطل بأنواع النعيق وأشكال العويل ليصير حقا.. وأنّى لهم ذلك قال تعالى: "**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**" الأنبياء، وقال تعالى: "**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**" الرعد، فما مصطلحات الحداثة والتحرر والانفتاح والقومية.. إلا نوع من هذا الباطل الذي أراد له أصحابه ومؤيدوهم من الصهاينة والماركسيين أن يحل مكان الحق بصورة أو بأخرى ولكن لحظة.. قال تعالى: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" الحجر، والحق يعلو ولا يعلى عليه والباطل إلى الزوال لا محالة وصدق الشاعر إذ يقول:

يا ناطح الجبل العالي ليوهنه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ويبقى سؤال يطرح نفسه بشدة من الذي جعل هؤلاء يتسابقون إلى مطيات الهوى ويتساقطون في مطيات الانحلال والغوى، ولكن سرعان ما تأتي الإجابة أيضا واضحة أمام الموفق المستبصر قال تعالى: "**وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً**" الكهف.

فطامات القوم كثيرة وانحرافاتهم ومخططاتهم ظاهرة لأولي البصيرة، زاغوا عن الحق، وعوض الرجوع إلى جادة الصواب، رموا أهله بالأكاذيب والافتراءات وواجهوهم بالعداوة والطعنات وليس هذا الابتلاء غريب عن أصحاب الحق قديما وحديثا، قال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم -لما حكا له خبر ما رأى، وعلم ورقة أنها رسالة الحق- قال: "**لم يأت رجل قط بما جئت إلا عودي**" أخرجه البخاري، فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد والمنهج والحجاب.. ودعا إلى الفضيلة لا إلى الرذيلة، ولكن سنة الله في الأرض أنه لا بد من الباطل ليبتلى أهل الحق، ولا بد من الغواية ليمحص أهل الهداية، ولا بد من البدعة ليختبر أهل السنة قال تعالى: "**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**" العنكبوت، فالناس سيفتنون بالباطل وأهله، والذي تقر به الأعين أن في الأمة ولله الحمد والمنة كثير مَن فِطرهم سليمة وعقولهم رزينة يمكنها بإذن الله تمييز الثقافات الهدامة الدخيلة من غيرها السليمة التي وجد عليها الآباء والأجداد وللقارئ الكريم أضرب أمثلة من طيش القوم وجرأتهم على الله وحدوده وله واسع النظر في تصنيف أقوالهم وأفعالهم بين الحق والباطل، وهذه الأمثلة إنما هي غيض من فيض ونقطة في بحر، وإلا فالموضوع يحتاج إلى كتب ومجلدات ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله أو بعضه، وهاك أربع أمثلة فقط من حيف و جرأة على الله تبكي وتحزن وتفجع وقد اختصرتها اختصارا:

المثال الأول: البرلماني الاشتراكي "عبد القادر البنة" واستهزائه بالقرآن، وذلك في مقال نشره تحت عنوان: "عندما تكذب أمة على نفسها".. حيث ذكر عددا من كذبات الأمة حسب زعمه قائلا: الكذبة الأولى أن الإسلام هو الدين الوحيد عند الله ومن يبتغ غيره فلن يقبل منه، فإما مسلم وأنت أقرب الله وإما كافر وأنت عدو له وللإسلام.

..الكذبة الرابعة: إن الإسلام دين الرأفة والرحمة، والحال أن فقهنا يقر بقتل المرتد ورجم الزاني وجلد السكير وشاهد الزور وقطع يد السارق وقطع الأرجل خلافا لمن أفسد في الأرض والإعدام في القصاص، والحقيقة أن حدود شريعتنا ليست سمحاء إنها دموية وعلينا أن نعترف أنها تشوه الإسلام وتشوه الإنسان وتتنافى مع أبسط مبادئ الإسلام وحقوق الإنسان.

الكذبة الخامسة..

المثال الثاني: شويعرة آخر الزمان حكيمة الشاوي ومساسها بالجانب المقدس وطعنها في أحاديث نبوية شريفة وذلك في قصيدة لها ولبئس القصيدة هي حيث أنها قالت:

ملعون يا سيدتي من قال عنك
من ضلع أعوج خرجت.
ملعون يا سيدتي من أسماك علامة على الرضى بالصمت.
ملعون منذ الخليقة من قال عنك
عورة من صوتك إلى أخمص قدميك.
ملعون من حرم العشق عنك،

وقالت..

المثال الثالث: جمال البنا المصري وتقديمه العقل على الوحي الإلهي، وذلك أنه صرح بكل جرأة خبيثة أنه إذا خالف الإسلام العقل قدم عقله على كلام الله عز وجل بالإضافة إلى محاربته للحجاب.. و.. و..

المثال الرابع: نوال السعداوي واستهزائها بالمشاعر الدينية وذلك أنها قالت إن الحج من بقايا الوثنية كما طالبت بالمساواة في الميراث بين الرجال والنساء و.. و..

والأمثلة كثيرة، وصدق من قال:

قد كان ما قد خفت أن يكون
إنا لله وإنا إليه راجعون

فبعد هذا لا يشك عاقل في كون كتابات وتصريحات وبرامج ومخططات القوم إنما هي حرب على الثوابت وليس كما روجوا له وقالوا "عندما تكذب أمة على نفسها" بل الصواب عندما تكذب فئة على نفسها وتلبس على الأمة دينها، وهاك أيها القارئ قاعدة جليلة يذكرها الإمام ابن القيم رحمة الله عليه في كتابه الروح فخذها وعض عليها بالنواجد فإنها شافية كافية في فضح كل مندس مخلط مخبط:

"..وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولا وعملا يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه، فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان وإخوان الشياطين ويدعو إلى ما يحبه الشيطان من الشرك والبدع والفجور، علمت أنه من أوليائه، فإن اشتبه عليك الأمر فاكشفه في ثلاث مواطن: في صلاته، ومحبته للسنة وأهلها، ونفرته عنهم ودعوته لله ورسله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة، فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار في الهواء".

وأختم بهذه الآية الكريمة لعل غافلا يتوب أو شاردا يؤوب قال تعالى:

"**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**" المؤمنون.

"..وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولا وعملا يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه، فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان وإخوان الشياطين ويدعو إلى ما يحبه الشيطان من الشرك والبدع والفجور، علمت أنه من أوليائه، فإن اشتبه عليك الأمر فاكشفه في ثلاث مواطن: في صلاته، ومحبته للسنة وأهلها، ونفرته عنهم ودعوته لله ورسله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة، فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار في الهواء".

العدد 22 ، 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

وحـــدة الوجـــود

التعريف

وحدة الوجود مذهب فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

أبرز الشخصيات وأهم آرائها

إن فكرة وحدة الوجود قديمة جداً، فقد كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين القدماء، وهي كذلك في الهندوسية الهندية، وانتقلت الفكرة إلى بعض الغلاة من متصوفة المسلمين من أبرزهم:

ابن عربي 560هـ -638هـ: هو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي، الحاتمي، الطائي، الأندلسي وينتهي نسبه إلى حاتم الطائي، أحد مشاهير الصوفية، وعرف بالشيخ الأكبر ولد في مرسية سنة 560هـ وانتقل إلى إشبيلية، حيث بدأ دراسته التقليدية بها ثم عمل في شبابه كاتباً لعدد من حكام الولايات.

في سن مبكرة وبعد مرض ألم به كان التحول الكبير في حياته، حيث انقلب بعد ذلك زاهداً سائحاً منقطعاً للعبادة والخلوة، ثم قضى بعد ذلك حوالي عشر سنين في مدن الأندلس المختلفة وشمالي إفريقية بصحبة عدد من شيوخ الصوفية.

وفي الثلاثين من عمره انتقل إلى تونس ثم ذهب إلى فاس حيث كتب كتابه المسمى: "الإسراء إلى مقام الأسري" ثم عاد إلى تونس، ثم سافر شرقاً إلى القاهرة والقدس واتجه جنوباً إلى مكة حاجاً، ولزم البيت الحرام لعدد من السنين، وألف في تلك الفترة كتابه "تاج الرسائل"، و"روح القدس" ثم بدأ سنة 598 هـ بكتابة مؤلفه الضخم "الفتوحات المكية".

مذهبه في وحدة الوجود

يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق.

فابن عربي يقرر أنه ليس ثمة فرق بين ما هو خالق وما هو مخلوق ومن أقواله التي تدل على ذلك: "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها".

ويقول مبيناً وحدة الوجود وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات:

يا خالق الأشياء في نفسه ... أنت لما تخلق جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه ... فيك فأنت الضيق الواسع

وقد ذهب ابن عربي إلى تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه ومعتقده، فالعذاب عنده من العذوبة، والريح التي دمرت عاد هي من الراحة، لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة، وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة.

ومما يؤكد على قوله بالجبر الذي هو من نتائج مذهبه الفاسد:

الحكم حكم الجبر والاضطرار
ما ثم حكم يقتضي الاختيار
إلا الذي يعزى إلينا ففي
ظاهره بأنه عن خيار
لو فكر الناظر فيه رأى
بأنه المختار عن اضطرار

وإذا كان قد ترتب على قول ابن عربي بوحدة الوجود قوله بالجبر ونفي الحساب والثواب والعقاب، فإنه ترتب على مذهبه أيضاً قوله بوحدة الأديان. فقد أكد ابن عربي على أن من يعبد الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء، لأنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق.

يقول في ذلك:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن

فمذهب وحدة الوجود الذي قال به ابن عربي يجعل الخالق والمخلوق وحدة واحدة سواء بسواء، وقد ترتب على هذا المذهب نتائج باطلة قال بها ابن عربي وأكدها وهي قوله بالجبر ونفيه الثواب والعقاب وكذا قوله بوحدة الأديان.

وقد تابع ابن عربي في القول بوحدة الوجود تلاميذ له أعجبوا بآرائه وعرضوا لذلك المذهب في أشعارهم وكتبهم من هؤلاء: ابن الفارض وابن سبعين والتلمساني.

أما ابن الفارض فيؤكد مذهبه في وحدة الوجود في قصيدته المشهورة بالتائية:

لها صلاتي بالمقام أقيمها
وأشهد أنها لي صلت
كلانا مصل عابد ساجد إلى
حقيقة الجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي فلم تكن
صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
ومازالت إياها وإياي لم تزل
ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهو هنا يصرح بأنه يصلي لنفسه لأن نفسه هي الله، ويبين أنه ينشد ذلك الشعر لا في حال سُكْر الصوفية بل هو في حالة الصحو فيقول:

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها
وذاتي ذاتي إذا تحلت تجلت

والصوفية معجبون بهذه القصيدة التائية ويسمون صاحبها ابن الفارض بسلطان العاشقين، على الرغم مما يوجد في تلك القصيدة من مخلفات صريحة للمعتقد الصحيح.

وأما ابن سبعين فمن أقواله الدالة على متابعة ابن عربي في مذهب وحدة الوجود، قوله: رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك الله فقط، والكثرة وهم.

وهنا يؤكد ابن سبعين أن هذه الموجودات ليس له وجود حقيقي فوجودها وهم وليس ثمة فرق بين الخلق وبين الحق، فالموجودات هي الله!

أما التلمساني فلا يفرق بين الكائنات وخالقها، إنما الكائنات عنده أجزاء منه، وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وأجزاء البيت من البيت، ومن ذلك قوله:

البحر لا شك عندي في توحده
وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور
فالواحد الرب ساري العين في العدد

ويقول أيضاً:

فما البحر إلا الموج لا شيء غيره
وإن فرقته كثرة المتعدد

فالوجود عند التلمساني واحد، وليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق، بل كل المخلوقات إنما هي الله ذاته.

وقد وجد لهذا المذهب الإلحادي صدى في بلاد الغرب بعد أن انتقل إليها على يد كل من:

- "جيور وانو برونو" 1548-1611م وهو مفكر إيطالي، درس الفلسفة واللاهوت في أحد الأديرة الدينية، إلا أنه خرج على تعاليم الكنيسة فرمي بالزندقة، وفرّ من إيطاليا، وتنقل طريداً في البلدان الأوروبية وبعد عودته إلى إيطاليا وشي به إلى محاكم التفتيش فحكم عليه بالموت حرقاً.

- و"باروخ سبينوزا" 1632-1677م وهو فيلسوف هولندي يهودي، هاجر أبواه من البرتغال في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارى، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الأندلس وعند ابن جبريل وهو أيضاً فيلسوف يهودي عاش في الأندلس كذلك.

الجذور الفكرية والعقائدية

لقد قال بفكرة وحدة الوجود فلاسفة قدماء: مثل الفيلسوف اليوناني "هيراقليطس" فالله -سبحانه وتعالى- عنده نهار وليل وصيف وشتاء، ووفرة وقلة، جامد وسائل، فهو كالنار المعطرة تسمى باسم العطر الذي يفوح منها.

وقالت بذلك الهندوسية الهندية: إن الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي والروح الإنسانية جزء من الروح العليا وهي كالآلهة سرمدية غير مخلوقة.

وفي القرن السابع الهجري قال ابن عربي بفكرة وحدة الوجود وقد سبق ذكر أقواله.

وفي القرن السابع عشر الميلادي ظهرت مقولة وحدة الوجود لدى الفيلسوف اليهودي "سبينوزا، الذي سبق ذكره، ويرجح أنه اطلع على آراء ابن عربي الأندلسي في وحدة الوجود عن طريق الفيلسوف اليهودي الأندلسي ابن ميمون.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي نجد أن مقول وحدة الوجود قد عادت تتردد على ألسنة بعض الشعراء الغربيين مثل "بيرس شلي" 1792-1822م فالله سبحانه وتعالى في رأيه -تعالى عما يقول-: "هو هذه البسمة الجميلة على شفتي طفل جميل باسم، وهو هذه النسائم العليلة التي تنعشنا ساعة الأصيل، وهو هذه الإشراقة المتألقة بالنجم الهادي، في ظلمات الليل، وهو هذه الورود اليانعة تتفتح وكأنه ابتسامات شفاه جميلة إنه الجمال أينما وجد..".

موقف الإسلام من هذا المذهب

الإسلام يؤمن بأن الله جل شأنه خالق الوجود منزَّه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها. والكون شيء غير خالقه، ومن ثم فإن هذا المذهب يخالف الإسلام بإنكار وجود الله، والخروج على حدوده، ويخالفه في تأليه المخلوقات وجعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، ويخالفه في إلغاء المسؤولية الفردية، والتكاليف الشرعية، والانسياق وراء الشهوات البهيمية، ويخالفه في إنكار الجزاء المسؤولية والبعث والحساب.

ويرى بعض الدعاة أن وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد، وتعبير ملتوٍ للقول بوجود المادة فقط وأن هذا المذهب تكئة لكل إباحي يلتمس السبيل إلى نيل شهواته تحت شعار من العقائد، أو ملحد يريد أن يهدم الإسلام بتصيد الشهوات، أو معطل يحاول التخلص من تكاليف الكتاب والسنة.

يتضح مما سبق

أن هذا المذهب الفلسفي هو مذهب لا ديني، جوهره نفي الذات الإلهية، حيث يوحِّد في الطبيعة بين الله تعالى وبين الطبيعة، على نحو ما ذهب إليه الهندوس أخذاً من فكرة يونانية قديمة، وانتقل إلى بعض غلاة المتصوفة كابن عربي وغيره، وكل هذا مخالف لعقيدة التوحيد في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى".

العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الوفاء بالمواعيد واجب شرعي وسلوك حضاري موعد مغربي أم "گاورِي"

درج على ألسنة كثير من الناس عند تحديد موعد بينهم أن يسأل بعضهم البعض سؤالا عجيبا غريبا:

هل هذا الموعد مغربي أم "كاوري" أي إفرنجي؟

ذلك لأنه الموعد المغربي أو العربي عموما قد استقر في نفوسهم أنه يتصف بالتأخير واللامبالاة والاستهتار، بل والإخلاف بالوعد على نقيض الموعد الإفرنجي الفرنسي أو الانكليزي مثلا.. الذي يعني دوماً وللأسف دقَّة الموعد وضبطه.. حتى صار مجالاً للمدح والإطراء..

إنه لمؤسف جداً أن يتسم من هو خارج إطار الإسلام ببعض صفات الخلق الاجتماعي الكريم، كالوفاء بالوعد والالتزام بالاتفاق..، ويفقدها مجتمع يجتمع أهله خمس مرات في اليوم في مكان واحد (المسجد) في وقت واحد ليوأدوا شعيرة واحدة.

ففيما يخص المواعيد واللقاءات وتحديد الزمن فأغلب الغربيين يحترمها من منطلق نفعي دنيوي، وليس على أساس ديني أو أخلاقي، وذلك لكون العلاقات بينهم أسست على قاعدة علمانية لا تتوخى ثواب الآخرة وإنما ينظر فيها لما يترتب عن الضبط والنظام من ثمرات دنيوية مادية، ومقارنة لحالهم مع حالنا نجد العكس تماماً، فغالبيتنا رغم ما تنص عليه شريعتنا من احترام للعهود والمواعيد ومراعاة للأوقات والأعمار، وما يترتب على ذلك من أجر في الدنيا والآخرة، لا تجد للوقت عندها قيمة تذكر.. فسواء تأخر الشخص ساعة أو ساعات أحياناً، أو يهمل الموعد وينساه أو يتناساه، وما أكثر ذلك.. فحضوره للموعد والتزامه بالوقت أو تأخره أو غيابه عنه وتخلفه سيان لديه.. بل ربما قذف في وجهك رادا على احتجاجك بعبارات مثل: ماذا حصل؟ هل خربت الدنيا واندثر العالم بهذه المخالفة وهذا التأخير..

نسِي الكثيرون أن الوقت ليس ملكهم خاصة.. وأن المواعيد ملك للمتعلقين بهذا الوعد.. وقد يترتب عليها مفسدة بل مفاسد وأضرار تضر بالمصالح العامة أو الشخصية.. قد تلغى أو تؤجل اجتماعات.. وقد يترتب عليها خسارة مادية وخلل اجتماعي.. ويكفي أن يتصف هذا الشخص أو ذاك بأنه كذاب وأنه يخلف الوعود.. وهذه صفة من صفات المنافقين، يقول عليه الصلاة والسلام: "**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**"، لذا كان عليه الصلاة والسلام أوفى من وفّى بالوعد والعهد، وكان يلتزم ذلك التزاماً كاملاً وتاماً.

وللإنصاف نقول من جهة أخرى: ما زال ولله الحمد الكثير من المسلمين يحترمون هذه الأوقات ويلتزمون المواعيد والارتباطات ويحثون الناس على احترام المواعيد والمواثيق، وتجدهم أسوة حسنة ومرآة ناصعة أمام الجميع.

ويبقى إخلالا بتعاليم ديننا أن نستمر في هذه الفوضى وأن نعيش بعيداً عن معتقداتنا ومنهجيتنا وسلوكنا القويم وتربيتنا الشرعية الصحيحة السليمة، إنها لمفارقة أن نرى غير المسلمين يتسمون بالنظام وضبط المواعيد، بينما نعيش نحن في الفوضى واللامبالاة.

كما أنه من العار أن لا نعمل جادين على ترك الكذب والمراوغة في حياتنا وسلوكنا اليومي، وأن ندع الآفات الاجتماعية برمتها تتراكم متثاقلة فوق أجسادنا، وتعلق بكامل وزنها وثقلها على سلوكياتنا حتى توصلنا إلى مرحلة اليأس من التغيير، والإذعان للأمر الواقع.

إنه لجديرٌ بنا ونحن أمة القرآن وأمة الإسلام أن نسترد عزيمتنا ونقوِّم سلوكنا ونربي أنفسنا ونغير منهجنا لما يرضي الله عز وجل وفق منهج الحق، والصلاح والاستقامة وأن ننشئ الجيل القادم على الفضيلة والصدق والوفاء بالعهود وأن يتمثل ذلك فينا لنكون قدوة حسنة وأسوة طيبة.

قال تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**"

ما الفقر أخشى عليكم!! "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا"

محمد القريفي
Mkarifi@hotmail.Com

لقد دأب أكثر الناس على احتقار الفقراء، والاستهزاء بهم والسخرية منهم، مع أنهم قد يمتلكون من الطاقات والطاعات ما يؤهلهم للفوز بأعلى الدرجات، فلا يجالسونهم ولا يآكلونهم، ولا يضاحكونهم، ولا يناكحونهم، ولا يسمعون لكلامهم، ولا يزورون مرضاهم، ولا يحضرون جنائزهم، ولا يشاركونهم أفراحهم، وإذا مروا بهم مروا كراما.

وإن قل مال المرء أقصاه أهله
وأعرض عنه كل إلف وصاحب
وكذبه الأقوام في كل منطق
وإن كان فيهم صادقا غير كاذب

أما إن كان الشخص ينتمي لطبقة الأغنياء الأثرياء، فإنه يحظى بالتبجيل والتفخيم والتعظيم، ويقدم له الحليب والتمر عبر أنغام وتصفيقات الحشود، وإذا مات أو مرض فإن الدنيا كلها تبكي وتعود، وإن قرر الاحتفاء بالزواج واستقبال المولود، فإن الجميع ينتهزها فرصة للتهنئة وتقديم الورود، ويتعامل مع أقواله كأنها أنزلت من الغفور الودود، مع أنه قد لا يساوي عند الله جناح البعوض، وقد يكون حطبا لجهنم يوم لا ينفع مال ولا سلطان ولا نفوذ.

> **"فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم"**

وعلى النقيض من ذلك، لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يكره الفقراء، أو يأنف الدنو من مجالسهم، وهو الذي أمر أن يحبس نفسه معهم، وأن لا يتجاوزهم، وأن لا يحتقرهم طلبا لزينة الدنيا.

{**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**} الكهف.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تطبيق هذا الأمر بدون مجاملة أو مهادنة.

عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال:

"**مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟**

قال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع.

قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا؟

فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال لا يسمع لقوله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا". رواه البخاري برقم 6447.

ما أخشى عليك الفقر

تأكيدا لهذه الحقيقة، لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته الفقر كما يخاف عليها الثراء الفاحش، فإنه إذا كان الفقر شر، فإن الحرص على المال والشرف في الدنيا يدفع الإنسان إلى إتباع سبل ملتوية تتسم بالنصب والاحتيال والانتهازية، بهدف التنافس على الدنيا والتكالب على شهواتها.

والنفس تجزع أن تكون فقيرة
والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفس هو الكفاف فإن أبت
فجميع ما في الأرض لا يكفيها

بينما الفقر مع الصبر والدِّين، وإن كان يكوي صاحبه بالجوع والحرمان، فإنه في أغلب الأحيان قلما يسوقه إلى طريق الشرك واتباع سبل الشيطان، بل قد يحرضه على التقوى والإيمان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم**" صحيح مسلم.

ولا ريب أن هذا الحديث علم من أعلام النبوة، حيث حدث ما كان يخشاه الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعدما كان يعاني الصحابة الفقر وقلة المال، ولا يجدون ما ينفقونه في سبيل القتال، تهاطلت عليهم الأموال، وأتتهم الدنيا وهي راغمة، وأغنتهم عن السؤال، وتغيرت الأحوال.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أصبح المسلمون في الوقت الحاضر يتهالكون على الدنيا كما تهالكت عليها الأمم التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور آنفا، فشغلتهم عن عبادة الرحمن، وسلكت بهم سبل الطغيان، فخالفوا السنة والقرآن.

وحتى لا يشعر القارئ الكريم بالسآمة والملل، أتوقف عند هذا الحد، على أمل أن نجدد اللقاء في أقرب الآجال، وسيكون موضوع دردشتنا في الحلقة القادمة تحت عنوان: "الحكمة من تفاوت الأرزاق".

وفي انتظار ذلك أسأل الله العلي الكبير، أن يبصر شباب المسلمين بدينهم، وأن يحبب إليهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأن يحشرني وإياهم في زمرة الفقراء المساكين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

العدد 22 ـ 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

واحة الأدب

الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي شاعرا

عبد المجيد بن محمد أيت عبو

كان الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله شاعرا مجيدا سخر شعره في سبيل الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والذب عنهما، ونصرتهما، ونحسبه من الشعراء الصادقين المخلصين الذين إذا قالوا الشعر قالوه في توحيد الله عز وجل والثناء عليه ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وصلحاء الأمة والزهد والحكمة والموعظة والآداب وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون فيها بمشينة ولا منقصة.

قال الشيخ رحمه الله:

"قد نظمت شعرا كثيرا بعضه جيد وبعضه متوسط، وإنما عنيت به في أول الشباب قبل أن يشغلني عنه شاغل، فلما فتح الله لي باب كتابه وسنة نبيه والجهاد في سبيله، ومحاربة المخالفين من مستعمرين ومطاياهم وهم شر منهم، ومستبدعين وزنادقة منافقين، وآخرين معلنين، شُغل بالي عن الشعر فتركت الاشتغال به، فوقفت في الدرجة التي وصلتها منه، ولم أزدد صعودا في مرقاته، ولولا ذلك لبلغت فيه غاية بعيدة فيما أظن، ولأن من أراد بلوغ الغاية في الشعر وفتح له بابه لا بد أن يستمر في نظمه طول عمره ولا يهجره، ومتى هجر الشاعر الشعر ضعفت ملكته فيه، إلا أنني لم أزل أعد إليه كلما احتجت إليه فأستدر ضرعه اليابس حتى يجود لي بقطرات".

ولا تكاد تخلو مؤلفات الشيخ من أشعار قد تطول أحيانا، وفي بعضها لا تزيد على البيت الواحد.

وله ديوان عنونه بالهاديات، وآخر بقرة العين في مدح الملِكين، وآخر بمنحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي.

وقد تناولت أشعاره مختلف فنون الشعر، من مدح وهجاء ورثاء وغزل ودعاء ووصف وحكاية ونضال وطرائف ..

أولا: المدح:

يعد المدح أبرز غرض فني في الشعر العربي ويعنى المدح بصفات الممدوح التي تجعله مثلا عاليا وقدوة يقتدى به، وهي صفات تبعث في نفس الممدوح الشعور بالرضا والارتياح لخصاله التي يتمتع بها وما ينبغي أن يكون عليه، وكان ميزان المدح عند الشيخ دقيقا، فهو لا يمدح إلا من يستحق المدح، وإذا مدح فإنه لا يسرف في المدح ولا يبالغ فيه.

قال في أهل شفشاون:

جَزَى اللهُ شَفْشَاوُن بِخَيْرٍ وَنِعْمَةٍ
وَنَجَّاهُمُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَنِقْمَةِ
وَصَانَهُمُ مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ
لَئِيمٍ خَؤُونٍ هَاتِكٍ كُلَّ حُرْمَةِ
مَطَاعِينُ فِي الْهَيْجَا مَيَامِينُ فِي النَّدَى
أَكَارِمُ شُجْعَانٌ مَصَابِيحُ ظُلْمَةِ
هُمُ نَصَرُوا الدِّينَ الْحَنِيفَ وَعَظَّمُوا
حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
وَقَالُوا لِدَاعِي الْحَقِّ لَبَّيْكَ إِذْ دَعَا
وَقَالُوا لِبَاغِي الشَّرِّ أَبْشِرْ بِخَيْبَةِ
وَيَا أَهْلَ شَفْشَاوُنْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ
سَتَبْلُغُكُمْ طُولُ الْحَيَاةِ تَحِيَّتِي
وَأَذْكُرُكُمْ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ
وَإِنْ كُنْتُ فِي بَغْدَادَ أَوْ فِي أَرْضِ بَصْرَةِ

وقال في مدح الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله:

حَبَاكُمْ إِلَهُ النَّاسِ جَلَّ جَلاَلُهُ
مَلِيكًا عَظِيمًا فِي السِّيَاسَةِ وَالأَدَبْ
تَقَدَّمَ لِلصَّحْرَا بِحَزْمٍ وَحِكْمَةٍ
غَدَتْ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبْ
مَسِيرَتُهُ الْخَضْرَاءُ الَّتِي ذَاعَ صِيتُهَا
وَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبْ

ثانيا: الهجاء:

هو فن شعري يجرد فيه الشاعر المهجوَّ من القيم والمثل والأخلاق ويكشف عن عيوبه ونقائصه قصد إهانته والإزراء به، ولم يكن الهجاء في شعر تقي الدين هجاء شخصيا ذاتيا ينتصر فيه لرغبته وميوله بل كان منه جهادا ونضالا ودفاعا عن العقيدة الصافية وذودا عن حياضها والنيل من أعداء الله ورسوله وإصابة الكافرين وحرب أصحاب المذاهب الهدامة والآراء المنحرفة، فكان الشيخ يهجو أهل البدع ويكشف زيغهم وضلالهم ويهجو من أيدهم وعضد شوكتهم، أو تعاطف معهم، أو سكت عن بيان ضلالهم، ويهجو من يستغيث أو يستعين بقبر أو وثن أو ضريح، أو يصرف له شيئا من العبودية.. والهجاء حينما يتصل بالقيم والمثل الإسلامية يُمدَحُ صاحبه، فإن الشاعر المسلم لا يعيب على المَهْجُوِّ إلا انحرافا في دينه، وعزوفا عن الاستقامة عليه، وانصرافا إلى الآراء والأفكار والقيم الوافدة، فيكون هجاؤه نصرة للإسلام وأهله.

ومما قاله في شخص شتمه:

أَتَشْتُمُنِي يَا ابْنَ اللِّئَامِ بِلاَ سَبَبْ
وَأَنْتَ يَمِينُ اللهِ قِرْدٌ بِلاَ ذَنَبْ
فَلاَ أَنْتَ ذُو عِلْمٍ وَلاَ أَنْتَ ذُو حِجًى
وَلاَ أَنْتَ ذُو تَقْوًى وَلاَ أَنْتَ ذُو حَسَبْ
تُحَارِبُ رَبَّ النَّاسِ فِي أَوْلِيَاءِهِ
وَمَنْ حَارَبَ الْجَبَّارَ أَوْدَى بِهِ الْحَرَبْ

وقال في آخر:

لَنَا فَقِيهٌ عَالِمٌ بَارِعٌ مُسْتَأْهِلٌ لِلصَّفْعِ وَالذَّمِّ

ثالثا: الغزل:

هذا الفن من فنون الشعر التي أجاد فيها الشيخ، لكنه كان غزلا عفيفا يقوم على العاطفة المستقيمة، يختفي فيه عنصر الشهوة والاحتفال بالجسد، ويبرز فيه الاهتمام بالصفات المعنوية والنفسية في المحبوبة، فشعر الغزل عند الشيخ يفصح عن العفة والحفاظ، ويعبِّر صادقا عن المودة الدائمة، ويتجرد عن الشهوة والجسد، ويتجنب الفحش والمنكرات عكس الغزل الماجن الفاحش المتمرد عن الفضيلة والأخلاق السامية، وكان كثيرا ما يجعل هذا الغزل مقدمة لقصائده، مجاريا في ذلك عادة العرب؛ من ذلك قوله:

هَلْ بَعْدَ عَشْرٍ مَضَتْ بِالْبَيْنِ تَكْوِينَا
يُغَيِّرُ الدَّهْرُ يَوْماً حُكْمَهُ فِينَا
وَهَلْ ظَلاَمُ الأَسَى الْغَاشِي لأَنْفُسِنَا
يَجْلُوهُ نُورُ ابْتِهَاجٍ مِنْ تَلاَقِينَا
مِتْنَا وَنَحْنُ مَعَ الأَحْيَاءِ بَعْدَكُمُ
مِنْ لَوْعَةٍ وَأَسًى قَدْ كَادَ يُفْنِينَا
وَمَا لَنَا بَاعِثٌ إِلاَّ لِقَاؤُكُمُ
فَالْبَيْنُ يَقْتُلُنَا وَالْوَصْلُ يُحْيِينَا
فَالشَّمْسُ لَيسَتْ كَمِثْلِ الشَّمْسِ بَعْدَكُمُ
وَالْبَدْرُ لَيْسَ بِبَدْرٍ فِي نَوَاحِينَا

ومن روائع شعره:

لِيَ اللهُ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ وَالْهَوَى
وَنَارُ اشْتِيَاقٍ لاَ تَزَالُ تَوَقَّدُ
غَدَوْتُ بِشَمْسِ الْحُسْنِ صَبًّا وَلَيْسَ لِي
سِوَى وَصْلِهَا شَيْءٌ بِهِ الدَّهْرُ أَسْعَدُ
بِنَفْسِيَ أَفْدِي مَنْ سَبَانِي جَمَالُهَا
وَأَهْلِي وَأَمْوَالِي طَرِيقٌ وَمُتْلَدُ
وَمُنْذُ رَأَتْ عَيْنِي بَرَائِعَ حُسْنِهَا
شَعَرْتُ بِلَذَّاتٍ مِنَ الْحُبِّ تُوجَدُ

رابعا: الحكاية:

هذا هو القسم الغالب على شعره، وربما دخلت فيه الرحلة والرثاء والشعر الطريف وغير ذلك.

فمن طرائفه أنه قال فيمن قبض له ديكا كان قد ضل منه:

يَا مُنْقِذَ الدِّيكِ مِنْ أَيْدِي الضَّيَاعِ أَلاَ
جُزِيتَ خَيْرَ الْجَزَا يَا مُنْقِذَ الدِّيكِ
مَا زِلْتَ تَرْصُدُهُ بِالْخَتْلِ مُجْتَهِدًا
وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِيهِ غَيْرُ مَشْرُوكِ
حَتَّى انْقَضَضْتَ عَلَيْهِ غَيْرَ مُفْلِتِهِ
كَبَاسِقٍ جَدَّ فِي آثَارِ مَكُّوكِ
للهِ دَرُّكَ إِذْ أَقْبَلْتَ تَخْدَعُهُ
بِعَرْضِ أُنْثَاهُ كَرًّا جِدَّ مَسْبُوكِ
وَصِرْتَ تَنْطِقُ إِذْ أَبَتْ دَجَاجَتُهُ
مُحَاكِياً صَوْتَهَا كَكَا كَكَا كِيكِ

خامسا: الرثاء:

يعتبر فن الرثاء أصدق الفنون الشعرية شعورا، وأحفلها عاطفة لأنه صادر من قلب ملتاع، ونفس فقدت أثيرا وجليلا، فتفيض منه المشاعر ألما وحزنا ودموعا وبكاء، ولا يشغل جانب الرثاء حيزا كبيرا من أشعار الشيخ تقي الدين، لكنه رحمه الله أجاد فيه وأفاد فجاء بذلك مؤثرا وبليغا.

قال في رثاء الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله:

دَارُ الْغُرُورِ فَكَمْ دَهَتْ مِنْ سَيِّدٍ
شَاكِي السِّلاَحِ وَأَوْهَنَتْ مِنْ أَيِّدِ
إِنْ أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ وَإِنْ هِيَ قَدْ صَفَتْ
فَصَفَاؤُهَا مُتَعَقَّبٌ بِمُنَكِّدِ
لَمْ يَصْطَفِيهَا عَاقِلٌ أَبَداً وَلَمْ
يَأْمَنْ غَوَائِلَهَا سِوَى الْمُتَبَلِّدِ
طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الْقَنَاعَةَ دَأْبَهُ
وَغَدَا بِخَيْرِ ذَوِي الزَّهَادَةِ يَقْتَدِي
أُنْظُرْ فَقَدْ رَحَلَ الْمَلِيكُ الْمُرْتَضَى
الْخَامِسُ الْمُسَمَّى بِإِسْمِ مُحَمَّدِ

سادسا: الأشعار النضالية:

وهي الأشعار التي حارب بها الاستعمار وأثار بها كل من له غيرة على دينه ووطنه إلى النهوض إلى الجهاد، وقد مثلت على ذلك بأشعار ذكرتها، وهي تمتاز بالقوة والصلابة وعدم التردد وإثارة الجماهير.

أُعَادِي فَرَنْسَا مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ
سَأُوصِي أَحِبَّائِي يُعَادُونَهَا بَعْدِي

←

العدد 22. 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

عَدَاوَتُــهَا فَــرْضٌ عَلَــى كُلِّ مُسْلِــمٍ
وَإِنْ كَانَ فِي أَرْضِ الْقَرَاغِرِ وَالصَّعْدِ

وقال في إذاعة برلين أثناء الحرب العالمية الثانية في بيان فظائع الاستعمار البريطاني سنة 1941 أذاعها باسم مستعار هو أبو مرشد البصري:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى بِلاَدِي وَأَوْطَانِي
وَمَاذَا جَنَى فِيهَا العَدُوُّ البَـرِيطَانِـي
أَتَاهَــا مُغِــيرًا غَــازِياً مُتَلَصِّــصاً
فَصَبَّ عَلَيْهَا سَوْطَ بَغْيٍ وَعُـدْوَانِ
فَأَعْلَــى بِهــَا قَــوْماً لِـئَامــاً أَذِلَّــةً
وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْمَجْدِ وَالْعِـزِّ وَالشَّـأْنِ

الميزات الشعرية:

أولا: السهولة والانسياب:

لم يكن الشيخ تقي الدين يُعقِّد الكلام في شعره، أو يجعله غامضا، بل كان يجنح دائما إلى السهولة والتيسير، فيفهم الناس مقصده، ويجل الأدباء غايته، ومع ذلك فقد كان شعره شعرا فنيا بليغا، فيه الاستعارات وفيه المجازات وفيه الرموز والتصوير..، ولا أحتاج إلى التمثيل على سهولة شعره، إلا أن تلك السهولة التي تعامل معها الشاعر تقوده أحيانا إلى التقريرية فيصبح شعره عبارة عن منظومات أو أراجيز؛

انظر مثلا إلى قوله:

وَكُنْ دَاعِياً لِلْحَقِّ فِي كُلِّ مَـوْطِنٍ
وَلاَ تَخْشَ لَوْماً مِنْ عُدَاةٍ وَعُـذَّالِ
وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْـرِ حِزْبَهُ
وَأَوْعَدَ أَعْدَاهُـمْ بِخِـزْيٍ وَإِذْلاَلِ
وَلاَ تَأْخُذَنْ يَوْماً عَلَى الدِّينِ أُجْرَةً
فَذَلِكَ مَا يُفْضِي لِخُسْـرٍ وَإِخْـلاَلِ

وقال:

وَلِلشِّعْـرِ أَوْقَـاتٌ يَلِـينُ انْقِـيَادُهُ
وَيَعْسُرُ أُخْرَى لاَ يَدِيـنُ لِمِقْـوَالِ
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ القَرِيظِ فَعَاذِلٌ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ سَيَنْصُرُ عُذَّالِي

ثانيا: التصوير الفني:

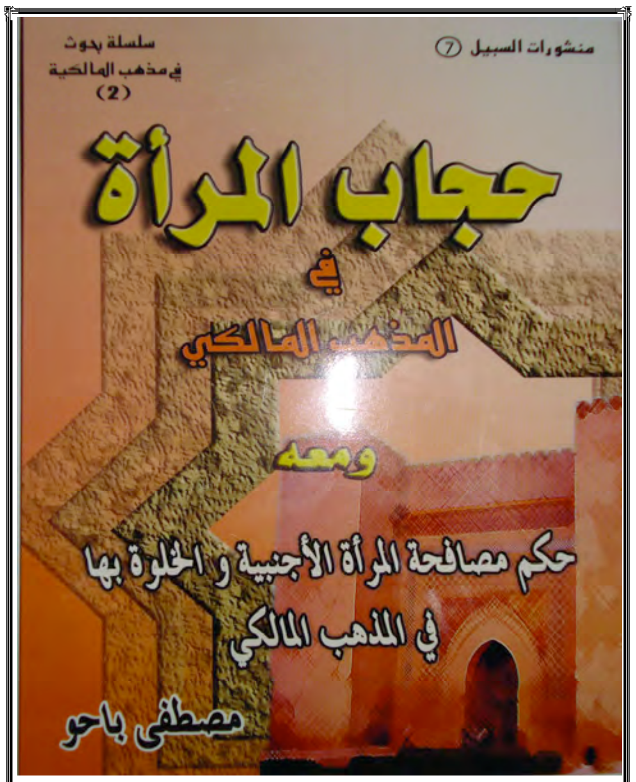
ولا يستعمل شاعرنا التصوير الفني بكثرة في أشعاره ولكنه حين يستعمله يبلغ فيه درجة من الإتقان كبيرة.

من ذلك قوله:

لاَ تَعْـذِلاَنِـي فَـإِنَّ الْــعَذْلَ يُغْرِينِـي
وَالْهَجْـرُ يَقْتُلُنِـي وَالوَصْـلُ يُغْيِـينِـي
وَالوَجْـدُ يَنْهَضُ بِي وَالعَجْـزُ يُقْعِدُنِي
وَالشَّـوْقُ يُنْشِرُنِـي وَاليَأْسُ يَطْـوِينِي
وَالدَّمْعُ يَنْـصُرُنِـي وَالصَّـبْرُ يَخْذُلُنِي
وَالسُّهْـدُ يَأْلَفُنِــي وَالنَّـوْمُ يَجْـفُونِـي
كَيْفَ اصْطِبَارِي عَلَى رُوحِي تُفَارِقُنِي
وَأَنْتَنِـي وَلَهِيـبُ البَيْـنِ يَشْوِينِـــي

وتبقى أشعر تقي الدين محتاجة إلى من يجمعها وينشر ما لم ينشر منها، ويعاد نشر ما قد نفذت طبعاته، وتحتاج هذه الأشعار إلى نقاد ودارسين يسلطون عليها الأضواء خاصة وأن الشيخ خلف تراثا شعريا ضخما أسهم به في إغناء الآداب العالمية.

جديد منشورات السبيل



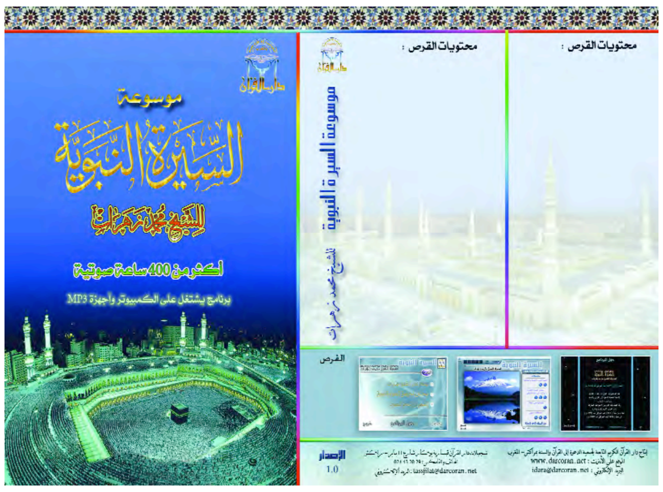
كتاب حجاب المرأة في المذهب المالكي ذكر فيه مؤلفه أحكام حجاب المرأة وذيله بحكم مصافحة المرأة الأجنبية والخلوة بها في المذهب كذلك، ونقل كلام السادة المالكية الذين أولوا مسألة الحجاب اهتماما كبيرا، من أمثال القاضي عياض والقرطبي والحطاب والعدوي وشارحي مختصر خليل والزرقاني وغيرهم...

وهذا الكتاب هو الثاني من سلسلة للمؤلف أسماها "سلسلة بحوث في مذهب المالكية".



يذكر المؤلف في هذا الكتاب الأدلة من الكتاب والسنة، ومن أقوال أهل العلم على تحريم التفجيرات التخريبية التي تمارس باسم الجهاد وأنكار المخالفات الشرعية، والتي يروح ضحيتها الأمناء الذي حرم الله ازهاق أرواحهم، كما يبين أن هذه الأعمال هي نتاج فكر غال ومتطرف، يمثل الخوارج الجدد ولم ينس المؤلف الإشارة إلى ظهور سبب ثان لهذه الأعمال يتجلى الانتقام الذي يورثه الفقر.

بشرى إلى محبي الرسول صلى الله عليه وسلم



الإصدار الأول (1428 هـ الموافق لـ 2007م)

هذا البرنامج من إنتاج دار القرآن الكريم التابعة لجمعية الدعوة إلى القرآن والسنة بمراكش - المغرب.

وقد تمت بفضل الله البرمجة الإلكترونية لهذه الموسوعة الصوتية التي تحتوي على أكثر من 400 ساعة بحيث تم وضع فهرس دقيق لكل الأحداث والوقائع، وبمجرد الضغط على زر العنوان المطلوب يتم التشغيل، مع التمتع بمناظر الطبيعة الخلابة.

والبرنامج يشتغل على أجهزة الكمبيوتر وأجهزة الـ mp3.

وقد ألقيت هذه الدروس الأسبوعية المباركة على مدى 13 سنة بدار القرآن الكريم (فرع بوكار). ابتداء من سنة (1411هـ الموافق لـ 1991م إلى سنة (1424هـ الموافق لـ 2003م)

ومما تتميز به هذه السيرة المباركة :

1- غزارة في المادة العلمية.

2- إبراز العقيدة الصحيحة ونبذ الشرك والخرافات والبدع.

3- ربط الناس بالسنة النبوية وفهم السلف الصالح من خلال السيرة العطرة.

4- توثيق الأحاديث وانتقاء الصحيح منها.

5- ربط السيرة النبوية بالواقع الذي يعيشه الناس.

6- صياغة السيرة النبوية بأسلوب توجيهي إرشادي.

7- الدفاع عن السيرة النبوية والرد على الطاعنين فيها.

8- اليسر والسلاسة في أسلوب الخطاب مما يتلاءم مع جميع مستويات المستمعين.



العدد 22 - 13 ربيع الثاني 1428 الموافق لـ 01 ماي 2007

الحـلـم

"من كظم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيّره من أي الحور العين شاء"

الحلم: آية الخلق، وعنوان علو الهمة، فهو من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب، لما جعل الله فيه من الطمأنينة، والسكينة، والحلاوة، وسلامة العرض، وراحة الجسد، واجتناب الحمد، ورفعة النفس عن تشفيها بالانتقام، فلا ينبل الرجل حتى يكون متخلقا بهذا الخلق العظيم.

فضل الحلم وفوائده:

1- أنه امتثال لأمر الله تعالى الذي هو غاية سعادة الإنسان في معاشه ومعاده:

قال الله سبحانه وتعالى في آية جامعة لحسن الخلق: **"خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"** الأعراف199.

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: **"أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس"**.

2- أنه صفة من صفات الله تعالى:

قال الله تقدست أسماؤه: **"وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ"** البقرة 235.

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره هذه الآية:

"الحليم: الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع عصيانهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا" تيسير الكريم الرحمن 630/5.

3- أنه من أخلاق الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين:

لم يسم الله عز وجل بالحلم في كتابه أحدا إلا إبراهيم خليله، وإسماعيل ذبيحه.

قال الله سبحانه وتعالى: **"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ"** هود 75، وقال: **"فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ"** الصافات101.

وبلغ نبينا صلى الله عليه وسلم الذروة والغاية في حلمه وعفوه، وضبط النفس إزاء التخرصات والمفتريات التي نسبت إليه، إضافة إلى الإيذاء الذي لقيه من مشركي العرب: كامرأة أبي لهب، وأبي جهل، وأبي بن خلف، وغيرهم من سفهاء مكة.

وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: **"ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"**.

وعنها -أيضا- قالت: **"ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا -قط- بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء -قط- فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيئا من محارم الله، فينتقم لله عز وجل"**.

وجاء في وصفه صلى الله عليه وسلم في التوراة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: **"ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح"**.

قال الشاعر:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه
من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى
إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

وإليك هذين المثالين من سيرته صلى الله عليه وسلم الدالين على سعة حلمه:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **"كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي أن نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون"**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء".



قال ابن حجر رحمه الله تعليقا على هذا الحديث:

"وهذا من روائع حلمه صلى الله عليه وسلم وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأس به الدعاة إلى الله والولاة بعده في حلمه، وخلقه الجميل: من الصفح والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن" الفتح 506/10.

قال حسان بن ثابت الأنصاري:

أغـر علـيــه للنبــوة خــاتم
من الله ميمون يلــوح ويشهــد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمـه
إذ قال في الخمس المؤذن: أشهـد
وشـق لــه مـن اسمــه ليجلـه
فذو العرش محمود، وهذا محمد

4- أنه سبب لنيل محبة الله، وثوابه الجزل العظيم:

قال الله سبحانه وتعالى: **"وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"** (آل عمران).

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من كظم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيّره من أي الحور العين شاء"** صحيح الجامع.

5- أن الله يتجاوز عن سيئات أهل الحلم كما تجاوزوا عمن أساء إليهم من عباده، فالجزاء من جنس العلم:

كان مسطح بن أثاثة من فقراء المهاجرين، وكان قريبا لأبي بكر الصديق، ويعيش على إحسانه، وفي حادثة الإفك لم يتورع عن الخوض فيها، والخبط في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي يكفله أبوها، فنسي بذلك حقّ الإسلام، وحق القرابة، وحق الصنيع القديم، فأغضب ذلك أبا بكر، وجعله يحلف ألا يصل قريبه هذا كما كان يصله، فقال: "والله، لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال".

فأنزل الله عز وجل: **"وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"** النور.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه: "بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي" فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال مقابل حلفه الأول: "والله، لا أنزعها منه أبدا" رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال: **"ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم"** صحيح الجامع 897/1، والصحيحة 482.

6- أنه يقطع خواطر الثأر التي تستهلك القلب:

"مشهد السلامة وبرد القلب، وهذا مشهد شريف جدا لمن عرفه، وذاق حلاوته، وهو ألا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى، طلب الوصول إلى درك ثأره، وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب عنده، وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهمّ عنده، وخير له منه، فيكون بذلك مغبونا، والرشيد لا يرضى بذلك، ويرى أنه من تصرفات السفيه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس، وإعمال الفكر في إدراك الانتقام؟!" تهذيب المدارج 670/2.

7 – أنه يقطع إلحاح الجاهل في الظلم:

قال الله سبحانه وتعالى: **"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"** فصلت.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

"جاءت النتيجة بـ(إذا الفجائية)، لأن (إذا الفجائية) تدل على الحدوث الفوري في نتيجتها: **"فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"**، ولكن ليس كل أحد يوفّق لذلك، وقال: **"وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"** فصلت.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإنه إذا ترك المقابلة والانتقام أمن ما هو شرّ من ذلك، وإذا انتقم واقعه الخوف ولا بد، فإن ذلك يزرع العداوة، والعاقل لا يأمن عوده، ولو كان حقيرا، فكم من حقير أردى عدوه الكبير".